16 ème Année No. 763

Lundi — 16 — 2 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٦٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ ربيع الآخر سنة ١٣٦٧ — ١٦ فبراير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أســـئلة فى سؤالين !

للأستاذ عباس محمود العقاد

سؤال عن الله ، وسؤال عن «الفاروق» خليفة رسول الله .

أما السؤال عن الله فهو من الأديب «عبد الستار شمس الدين» الطالب بالجامعة الأمريكية فى بيروت ، وفيه يقول : « إن الدكتور عبد الرحمن بدوى ألقى محاضرة عن الجانب الصوفى من حياة النبى فى قاعة (وست) بالجامعة الأمريكية فقال : إن محمداً رأى ربه عند ما بلغ الغاية من عبادته الصوفية ، واستشهد بالآيات التالية من سورة النجم ... « وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى » .

فإذا كان ما قال الله صحيحاً فهل الله جسم ؟ وهل هذه الصفة الجسمية تجعله واجب الوجود ؟ وهل تتعارض هذه مع الآية : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .

والمشهور المتفق عليه بين المفسرين — ومنهم أهل السنة والشيعة والفلاسفة — أن المقصود بالرؤية هنا هو الروح الأمين رسول الوحى جبريل : « إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » .

فالإمام الرازى وهو من الفلاسفة يقول : « والمشهور أن هو ضمير جبريل ... والظاهر أن المراد محمد صلى الله عليه وسلم . معناه استوى بمكان — وهو بالمكان العالى رتبة ومنزلة فى رفعة القدر — لا حقيقة فى الحصول فى المكان . فإن قيل : كيف يجوز هذا والله تعالى يقول : ولقد رآه بالأفق المبين إشارة إلى أنه رأى جبريل بالأفق المبين ؟ نقول : وفى ذلك الموضع أيضاً نقول كما قلنا هاهنا أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل وهو بالأفق المبين ، يقول القائل : رأيت الهلال . فيقال له : أين ؟ فيقول : فوق السطح . أى أن الرائى فوق السطح لا المرئى » .

والشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى من كبار علماء الإمامية يقول فى مجمع البيان : « معناه : ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه إليكم من الأحكام إلا بوحى من الله يوحى إليه أى يأتيه به جبرائيل وهو قوله : علمه شديد القوى يعنى جبرائيل ، أى القوى فى نفسه وخلقته ، عن ابن عباس والربيع وقتادة » .

وهذا أيضاً هو المعنى المشهور بين أهل السنة من الأقدمين والمحدثين .

أما رؤية الله — من حيث هى بحث مستقل عن تفسير هذه الآية — فهى موضوع كثر فيه الخلاف بين المنزلة والمتكلمين .

فالمنزلة عامة يمنعون الرؤية لأنها فى رأيهم لا تكون إلا لمحسوس .

والمتكلمون لا يمنعونها ، بل يجيزون رؤية كل موجود على اعتبار أن الرؤية نوع من العلم ، وأن العلم يحصل بغير اتصال النور بين الرائى والمرئيات .

ومن الفلاسفة من يوافق المتكلمين فى ذلك على هذا الاعتبار .

قال الفارابي : « الحق الأول لا يخفى عليه ذاته ، وليس ذلك باستدلال . فهو عاقل على ذاته مشاهدة كماله من ذاته ، فإذا تجلى لغيره مغنياً عن الاستدلال ، وكان بلا مباشرة ولا مماسة كان مرئياً لذلك الغير . . . وإذا كان فى قدرة الصانع أن يجعل قوة هذا الإدراك فى عضو البصر الذى يكون بعد البعث لم يبعد أن يكون تعالى مرئياً يوم القيامة من غير تشبيه ولا تكييف ولا مماسة ولا محاذاة تعالى عما يشركون » .

ويتكلم أبو البركات هبة الله فى كتابه المعتبر عن المدركات بغير الآلات ، فيقول : « إنما يتم إدراكها للنفس بذاتها عند تجردها عن آلاتها بالتفاتها عنها إلى ذاتها » .

ثم يقول : « حتى تنتهى إلى ما يرى كل شىء ويصدر عنه وجود الأنوار بأسرها ، خفيها وظاهرها ، وعلتها ومعلولها ، فهو نور الأنوار كما هو مبدأ المبادى ، فهو أبعد من أن يرى بالعين ، وأحق بأن يرى ، لكونه الأظهر فى الوجود ، والأسبق والأحق بالوجود . فالنفس إذا تطلعت بذاتها نحو مبادئها وعادت بنظرها إلى جهة بدايتها انتهت بنظرها إليه واستعانت بمبادئها القريبة عليه » .

وبهذا المعنى يتفق المتكلمون والفلاسفة على أن رؤية الله علم لا يأتى من طريق العين كما نرى هذه المحسوسات . فليست هى ملازمة للتجسيد ولا تدل عليه . وما البصر الحسى نفسه إلا نوع من الترجمة يمثل لنا ما نحسه ولا يعطينا صورته على التحقيق ، فلا امتناع لقيام معنى الوجود الإلهى فى وجدان الإنسان على نحو من إدراك المعانى يخلو من كل تجسيد » .

ولا نعرف أحداً قال برؤية الله حساً غير جماعة المجسمة الذين يفهمون الوجه واليد كما يفهمون أعضاء الأجسام ، وهم فئة لا يؤبه لها فى العلم ولا فى الدين .

* * *

وأما السؤال عن الفاروق خليفة رسول الله ، فهو من الطالب الأديب « عبد المنعم محمد السيد » بالقسم التوجيهى بمدرسة دمياط الثانوية .

وفيه يسأل عن مهابة عمر فيقول : « أوردت فى الكتاب قصة النبى عليه السلام مع زوجته عائشة وسودة حين لطخت كل منهما وجه الأخرى بالحريرة . فضحك النبى ثم أمرهما بأن تغسلا وجهيهما حين مر عمر فناداه النبى ... وهذه القصة اختلفت أنا والأستاذ فى تفسيرها لأننى أرى أنها لا تثبت هيبة النبى لعمر — وإن كان ذلك صحيحاً — لأننى أظن ظناً يرقى إلى مرتبة الاعتقاد أنه لو رأى رجل غير عمر ودعاه محمد رسول الله إلى منزله لأمر زوجتيه بأن تغسلا وجهيهما ... » .

ونحن مع ترحيبنا بهذه الملاحظة وتقديرنا لذكاء الطالب النجيب فى التفاته إليها ، نحب أن نلفت نظره إلى شىء غاب عنه ، وهو يتكلم عن المهابة وما إليها .

فالمهم فى وصف المهابة وما يماثلها من الأحاسيس النفسية ، كوصف الجمال أو الدهشة أو الخوف ، إنما هو فيما يقوم بالنفس من آثارها قبل كل شىء .

فإذا قال لك أحد : إننى أحببت هذا المنظر لأنه جميل ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تحب جماله ولم تشعر بأنه جميل ، وإن خالفته كل المخالفة فى تصور الجمال .

وإذا قال لك أحد : إننى دهشت لهذا الخبر ، فليس لك أن تقول له : كلا ! إنك لم تدهش له ؛ لأنه لا يدهش .

وإذا قال لك أحد : إننى أخاف الظلام أو أخاف الفضاء الواسع ، أو أخاف الحجرات المغلقة ، فليس لك أن تكذب خوفه ، وإن جاز لك أن تكذبه فى أمثال هذه المواضع ولا تخاف

وكذلك حين تقول لنا السيدة عائشة أنها هابت عمر وشعرت بأن النبى يهابه ، لا يحق لنا أن نقول لها : كلا . ليس فى الأمر ما يدعو إلى المهابة .

وينبغى أن نذكر فى هذه القصة — على الخصوص — أن السيدة عائشة امرأة ، وأن المرأة أحس لهذه المعانى وأفطن ؛ لأنها خلقت لتحس الرجل ، ولا سيما جانب المهابة والقوة فيه .

فإذا وقع فى نفسها أنها هابت عمر وشعرت بمهابة النبى له ، فليس المهابة دليل نفسانى أصدق من هذا الدليل ،

وأشار الطالب النجيب إلى قولنا بعد ذلك : « إن من أدب الرسول عليه السلام أنه كان يرعى تلك الهيبة رضى عنها واغتباطاً بها فى نصرة الحق وهزيمة الباطل وتأمين الخير والصدق

وإخافة أهل البغى والبهتان .

ثم سأل : ماذا نقصد بكلمة « أدب » بالضبط ؟ أحسن تقدير هو أم ماذا ؟

ويبدو لنا أن الذى دعا الطالب النجيب إلى هذا السؤال ما سبق إلى فهمه من أن الأدب لا يكون إلا من صغير لكبير.

والواقع أن الأدب صفة مطلوبة فى كل معاملة ، كما نطلب فى أدب الراعى نحو الرعية ، وأدب السيد نحو الخادم ، وأدب العظيم نحو الصغير .

وأدب النبى هنا هو أدب المربى الذى يتعهد أتباعه ومريديه فيهيئ كلا منهم لما يصلح له ، ويقوى فيه ما يصلح مع القوة ، ويضعف فيه ما ليس به صلاح له ولا لغيره . ومهابة عمر إنما هى مهابة للعدل والحق والإيمان ، فمن الخير أن يبقيها له وينتظر منها النفع للدين ومعتقديه .

وفى الأسئلة بقية ترجع إلى جملة من الكلام على صفات الفاروق ، بعد رواية ما قيل عن إقامته الحد على ولده عبد الرحمن

وهذه هى الجملة : « لو كان المصدر واحداً معروفاً بالحذق فى القصص لحسبناها من وضعه وتلفيقه . ولكنها سمعت من غير مصدر موثوق به ، فهى أقرب إلى الواقع » .

والسؤال هو : أتقصد أنها سمعت من مصدر غير موثوق به أم أنها سمعت من أكثر من مصدر واحد موثوق به ؟

وعلى قدر ما كان الطالب موفقاً فى سؤاله عن المهابة خانه التوفيق فى هذه الأسئلة . فلا يمكن أن يكون المقصود مصدراً واحداً ؛ لأننا استبعدنا ذلك ، ولا يمكن أن يكون عدة مصادر غير موثوق بها ؛ لأننا نقول إنها أقرب إلى الواقع ، ولا التباس بعد هذا فى المعنى لأننا نفى وحدة المصدر ، ونفى وضعه وتلفيقه ونقول قبل ذلك عن القصة « إننا لا نستغربها فى جميع تفصيلاتها إلا حين تطرأ عليها المبالغة التى تتسرب إلى كل خبر من أخبار البطولات المشهورة ... »

وبعد ، فهو على كل حال اجتهاد يدل على حب الفهم والاسترشاد

عباس محمود العقاد

من أحاديث الزواهرى : (*)

حكمة القـــدر

للاستاذ على الطنطاوى

دخل علينا أمس ، وكنا جماعة فى المجلس صديق لنا ، فقال : إن ابنة الأستاذ حبيب زحلاوى قد سقطت من الطبقة السادسة إلى الشارع ! فارتمنا جميعاً ، وأعظمنا الخطب ، وكنا نعرفها طفلة حلوة ملء إهابها الطهر والجمال والنشاط ، فلم نستطع أن نتصورها وهى مزق من اللحم قد اختلط بعضه ببعض ، ووجمنا وكانت سكتة لم يقطعها إلا ضحك صديقنا المخبر ، فعرفنا أنها مزحة ثقيلة من مزحاته ، وأقبلنا عليه نسبه ونشتمه ، فقال : والله ما كذبت عليكم ، ولقد وقعت من الطبقة السادسة ولكنها لم تصب بشىء ، وهى سليمة ...

فصرخنا جميعاً : سليمة ؟ ! قال : نعم والله . ألا تصدقون ؟ إنها وقعت على حبال الغسيل الممدودة بين الشرفتين حيال الطبقة الخامسة ، فعاقتها قليلا ، ونفذت منها إلى حبال الطبقة الرابعة ، وما زالت تمر من حبال إلى حبال ، حتى إذا بلغت الشارع ، كانت سقطتها على كومة من الرمال ، صبتها سيارة صباح ذلك اليوم ، فلم تصب بأذى .

ومضى يحلف ويذكر الإيمان أن الذى يرويه هو الصدق والحق ، وأن صبياً لصديق آخر لا أسميه لئلا أسوءه ، وأذكره بمصابه ، وقف على مكتب أبيه يلعب ، فرأى صورة معلقة بالجدار ، فوثب يريد أن يصل إليها ، فوقع على أرض الغرفة ، وكانت من البلاط ، وكانت السقطة على يافوخه ، فمات لساعته ...

وقال معلقاً ومتفلسفاً : ففيم إذن نفكر وندبر ، ما دام لا ينفعنا فكر ولا يفيدنا تدبير ، ولم لا ندع الأمور للقدر ونتركها تجرى فى أعنتها كما يريد لها مجريها ، ما دمنا لا نملك أنفسنا ولا نعرف مصائرنا ، وما دام هذا الكون كالمعمل الضخم ،

(*) سجل فى مصر وأذيع من محطة الشرق الأدنى فى القدس .

شتبك الآلات ، المتعدد الحركات ، ومانحن إلا مسمار صغير فيه ، ير كما يسيرنا (مهندسه) الأعظم ...

وأسرع واحد منا ، فقال مصدقاً : نعم ، ولكنا خلقنا نقاء ، وأقمنا هدفاً للمصائب ، ووضعنا فى دنيا ما فيها إلا الآلام ن سلم منها اليوم وقع غداً ، ومن لم يمت ولده من سقطته مات ي علته ، أو مات وهو صحيح معافى ما من الموت بد ... ولا بد ل الموت من البلايا والمتاعب ...

وتكلم ثالث ، يرى نفسه من كبار العقلاء ، فأنكر القدر ، بعد القدر . وزعم أن الحياة ليست إلا عجينة فى يدك ، أنت رها وتصورها ، فإن صنعت منها تمثال غادة جميلة كان لك جمالها ، ن عملت منها هولة قبيحة كان عليك قبحها ... إن مرضت ي إقلالك الغذاء وإهمالك الترق ، وإن دعست[1] فمن تركك سذر ، وإن افتقرت فمن قعودك عن السعى . . . وأمثال ا الكلام .

فقلت له : فلم ولد هذا فى دار علم وتهذيب فتعلم وعرف سبل قاية ، وخطر الأمراض ، ونشأ ذاك فى بيت جهل وفساد ، ب جاهلا فاسداً ، لا يعرف كيف يتقى الداء ، ولماذا دعس ا من قلة حذره ، وسلم من هو أقل منه حذراً ، وطريقه أشد طرأ ، ولماذا يسعى الرجل حتى تنقطع من السعى أنفاسه ويرجع بصل ولا إلى مثل خفى حنين ، وتأتى الأموال لآخر بلا سعى ل طلب ؟ ...

ولماذا يتاح لهذا النابغة أن يظهر نبوغه ، حتى يكون اسمه بيعاً على كل لسان ، وعنواناً فى كل كتاب ، ويجهل من هو د منه ذكاء ، وأكبر موهبة ، وأظهر استعداداً للنبوغ ؟ .

ولماذا ؟ ولماذا ؟ وألف لماذا ؟ لو شئت لسقتها لك فما تطمت الحواب على واحد منها ، فما أنت فى الوجود ، هل تسير ت الفلك على هواك ، وهل تسوق الكون إلى غايتك . هل ت إله ؟ إلك ما كونت نفسك ، ولا شققت بيدك سمعك ل بصرك .

قال : فهل ترى أنت أن الإنسان مسير ؟ .

قلت : ما مسير ؟ وما مخير ؟ وما هذه الفلسفة الفارغة ؟ لقد ستغل بها البشر ، من يوم بدأوا يفكرون واختلفوا عليها ، عادلوط ، ولا يزالون يختلفون ويتجادلون ، لم يصلوا إلى شىء .

وإنما ناهوا فى بيداء لا أول لها ولا آخر ، وهاموا على وجوههم فى مهمه متشابه الأرجاء ، بلا أمل ولا رجاء ، فذهب هذا ينكر القدر ، ويزعم أن الحياة ملك الإنسان ، وأحدثها صنع يديه ، وراح ذاك ينكر إنسانيته ، ويجحد نفسه ويراه مسماراً فى آلة الكون ، وحجراً فى جبل ، يدور مع الأرض أنى دارت . وكان هذا متشائماً لا يرى إلا الذى وقع عن الكرسى فمات ، فاعتقد أن الدنيا دار المصائب ، وكان ذلك مغروراً ، لم يبصر إلا التى وقعت من الطبقة السادسة ولم تمت ، فحسب أنه يسلم من كل أذى .

ونحن مع القدر بشر ، لا آلهة ولا حجر ، والدنيا ليست مسرة كلها ولا مصائب ولكنها مسرة وكدر .:.

وأنا كلما فكرت ، وذكرت ما رأيت من الحوادث بعينى ازددت يقيناً بأن أكثر الناس لا يعرفون سر الإيمان بالقدر :

رأيت الترام مرة وقد انكسر مقوده ، فانحط من المنحدر الهائل عند (الجسر) فى دمشق ، وكانت امرأة واقفة بين خطيه بعد المنعطف ، فلما رأته مقبلا كالموت النازل ، سمرت رجلاها من فزعها بالأرض ، وجدت ولم يجرؤ أحد أن يدنو لإنقاذها فيموت معها ، والوقت أضيق من أن يتسع لشىء ، فأغمضوا عيونهم حتى لا يروا ... فلما وصلت الحافلة إلى المنحنى تركت الخط وسارت قُدُماً ، فصدمت جداراً من اللبن ضعيفاً ، وصرت منه إلى قوم فى دارهم فقتلتهم .

ورأيت مرة بعينى شاباً يمشون تحت فندق (إيدن بالاس) فى دمشق ، فرفع أحدهم رأسه فجأة فرأى شيئاً ساقطاً فتناوله بيديه ، وإذا هو صبى رضيع وقع من شباك الفندق ، وهبطت أمه كالمجنونة . وهى امرأة من (حماه) فرأته سالماً ..

ورأى غيرى حوادث مثل هذه الحوادث . وفى كتاب (الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى) مئات من القصص عمن نجا وهو فى لج الهلاك ، وفى كتاب الحياة آلاف من الأخبار عمن هلك وهو على بر النجاة .

فما سر هذه العجائب ؟ وكيف عاشت المرأة وقد فرطت وعرضت نفسها للموت بسيرها بين خطى الترام ، ومات قوم اتخذوا كل أسباب الوقاية ، فدخلوا دارهم ، وأغلقوا بابهم ، فشق الترام الحائط ودخل عليهم فدعسهم ، وكيف وقعت البنت فلم تمت ، وتموت كل يوم مئات من البنات من غير وقوع ؟ .

(١) الدعس : من العامى الفصيح .

إن هذا السر ، سر الله لا يعرفه أحد ، فلا تحاولوا كشف سر القدر ، ولكن استفيدوا من حكمة القدر . وهذا ما سمعت له حديثي .

ستقولون ، وماذا نعمل ؟ هل ندع أولادنا يسقطون من الشبابيك لا نبالي لأنها إن كانت لهم حياة فسيبعث الله لهم حبالا تمسكهم ، أو رجالا تتلقاهم ، ولنقعد عن السعي لأنه إن كان لنا رزق فسيأتينا بلا سعي ! .

لا يا سادة ، ما هـــذا طريق فهم القدر ، ولا هذه حكمة القدر .

صحيح أن الرزق مقدر ، فهذا وضع له رزقه على مكتبه ، قما عليه إلا أن يقعد على كرسيه ، ويمسك قلمه ، ويكتب اسمه الكريم كل نصف ساعة مرة على أوراق تعرض عليه ، وهو يشرب قهوته ، ويدخن دخينته ، فيأتيه الرزق ؛ وآخر وضع رزقه في رأس الجبل عليه أن يصعد إليه ، أو في بلد بعيد عليه أن يمشي إليه ، أو في باطن الأرض ينزل إليه ، أو في جوف البحر يغوص فيه ، أو في جيوب الناس يأخذه منها ، ليقبض عليه ، فيتحول رزقه إلى السجن .

كل يأكل لقمة ، ولكن من الناس من تجيئه اللقمة في صحفة من الفضة ، ومن يأكلها مغموسة بالدم ، أو مبللة بالعرق ، أو ملطخة بالوحل .

لا لانقل ما سر القدر ، فما كشفه حاجة لأحد ، ولكن ، مادام الأمر مجهولا ، فاسع أن تأكل أنت لقمتك بطبق الذهب ، وجد وابذل الجهد ، فإن لم تصل إلى ذلك وصلت إلى الرضى والتسليم بحكم القدر وهذي من حكم القدر .

والأجل محدود ، لا يدقمه إذا حضر حذر ، ولا يضر إن امتد خطر ، وقد يموت الشاب الصحيح ، ويعيش الشيخ العليل ، ويهلك المعتصم بسبعة أسوار ، ويسلم الجندي الذي يقتحم النار ، أعرف رجلا من أبطال الثورة السورية ، رمى نفسه على الموت خمسين مرة فكان الموت يروغ من تحته ويهرب منه ، ثم انتهت الثورة ، ونام في فراشه ، فاختصم إثنان من السكارى ، فأطلق أحدهما رصاص مسدسه ، فأصاب خطأ رأس صاحبنا الذي نام فما قام .

وروى ابن الجوزي أن رجلا أغمي عليه فحسبوه مات ، ونصبوه على السرير ، وجاؤوا بالمغسل ليغسله ، فلما أحس برد الماء ، تيقظ ونهض ، فارتاع المغسل وسقط ميتاً .

فلا تسأل ما السر ، ولكن جاهد في سبيل الله ، وناضل عن الحق ، ولا تخف الموت في جهادك ونضالك لأن الأجل محدود ، فقد تعيش مائة سنة ولو خضت غمرات الموت ، فاعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لأخراك كأنك ميت غداً ، فتكون قد ضمنت لنفسك الدنيا والآخرة ، وهذي حكمة من حكم القدر .

فالإيمان بالقدر حياة لأنه يفتح لك في كل ظلمة شعاع ضياء ، وفي كل عسرة باب رجاء ، ولولا الرجاء لمات المريض من وهمه قبل أن يميته المرض ، ولقتل الجندي في الحرب من خوفه قبل أن يقتله العدو ، ولولا الرجاء ما كانت الحياة .

ولو تركت الأمور لاحتمالات العقل ، وقوانين المادة ، لما استطعت أن تتنفس الهواء أو تشرب الماء خشية أن تكون فيه جرثومة داء ، ولا ركبت سيارة لاحتمال أن تصطدم ، ولاصعدت بناء لإمكان أن ينهدم ، ولما استولدت ولداً لأنه قد يموت ، ولا اتخذت خليلا لأنه قد يخون ، ولما اطمأننت على مال لأنه قد يسرق ، ولا دار لأنها قد تحرق .

والإيمان بالقدر راحة لأنه لو كان الفشل من عملك وحدك ، وكان النجاح من صنع يدك لقطعت نفسك أسفاً إن فشلت ، أو سبقت .

والإيمان بالقدر عزاء ، لأنك إن قدر عليك المصاب بولد ، فاحمد الله فقد الناس من أصيب بولدين ، وإن خسرت ألفاً ففيهم من خسر ألفين .

فهل عرفتم الآن ما حكمة القدر ؟

هي أن نجد ونعمل ونسعى ، ونبذل الجهد ، ثم لا نحزن إن فشلنا ، ولا نأس إن لم نصل إلى ما نريد وأن نكون مع القدر كمن يجتاز طريقاً فيه السيارات المزدحمات ، فإن ذكر حوادثها وأخطارها وحدها لم يستطع أن يتقدم خطوة ، وإن اعتقد من غروره أنه يستطيع أن يرد عنه السيارة القبلة ، ويدفع الخطر الآتي ، لم يسلم ، ولكن إن انتبه وسار بحذر ، فهذا هو العاقل ، ثم إن نجا حمد الله أن قدر عليه النجاة ، وإن أصيب ذكر أنه لم يقصر ، وإنما هو حكم القدر ...

(دمشق) علي الطنطاوي

١٨ - رحلة إلى الهند

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر المفوض لدى المملكة العربية السعودية

في مدينة لاهور :

كانت الإقامة في هذه المدينة قصيرة وكان المقصد الأول من السفر إليها زيارة محمد إقبال فلم أر كثيراً من مشاهدها القديمة والحديثة .

رأيت من آثارها يوم الأربعاء ٢٤ جمادى الأولى مسجد وزير خان . اجتزنا إليه سوقاً ضيقة فيها مكتبات تجارية . والمسجد كبير له صحن واسع وفي المصلى عقود مزينة بنقوش وآيات من القرآن وأحاديث وكلمات للصوفية ، ومأثورات من الشعر الفارسي والنثر .

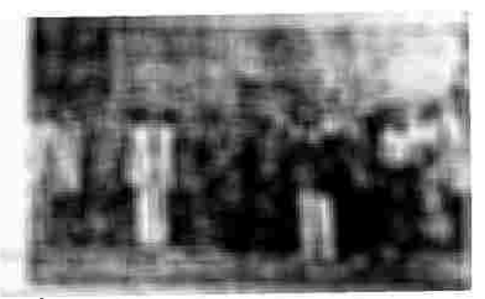

وفي العشي ذهبت إلى قلعة لاهور في صحبة أستاذ أمريكي خبير بالآثار . وهي قلعة واسعة كثيرة الأبنية ولكن الخراب غالب عليها ، وكان السيك استولوا عليها حيناً إذ ملكوا في تلك الأصقاع . ولهم فيها آثار لا تدل على براعة في العمارة والتصوير .

والذي يستحق الذكر في هذه القلعة نقوش بالفسيفساء على جدار شاهق على يسار الداخل . وفيها مناظر كثيرة لحيوان ونبات ، وهي من آثار جلال الدين أكبر . ويوم الخميس دعينا إلى حفل في الجامعة الأمريكية ، وكما زرناها يوم الأربعاء فتكلمت فيما بين مصر والهند من صلات ، وذكرت الشاعر الكبير محمد إقبال ، وتكلم السيد علي أصغر حكمت رئيس الوفد الإيراني .

وزرت هذا اليوم قبر السلطان جهانكير وهو على بعد أميال من المدينة في حديقة واسعة كقبور سلاطين المغول التي وصفت قبلا ، وهو طبقة واحدة من البناء مربعة يحيط بها عقود مقضية إلى حجرات . وللبناء مآذن أربع في أركانه . وليس في أضرحة آباء جهانكير مآذن كهذه ، وقد بنى مثلها ابنه شاه جهان في تاج محل ، ولكنه فصلها من البناء وجعلها مسامتة لأركانه كما ذكرت آنفاً .

وظاهر أن ضريح جهانكير كان في تاريخ الآثار تمهيداً لبناء التاج .

وفي الحديقة من الطرق والأحواض والنافورات ، وفي البناء من جمال الهندسة وإحكامها ، ومن التناظر الذي يسيطر على أبنية التيموريين كلها ما قدمت مثلا منه حينما ذكرت أضرحة همايون وأكبر وشاه جهان (تاج محل) .

ويفضي مدخل البناء إلى القاعة الوسطى وفيها قبر السلطان جهانكير رحمه الله وهو من المرمر الملون مرصع بأحجار أخرى جميلة . وكان فيها من الجواهر أكثر من مائة قطعة نزعها السيك حينما تغلبوا على لاهور . وعلى الصحيفة التي فوق القبر أسماء الله الحسنى . وعلى الجوانب كتابة فيها :

« مرقد منور أمليحضرت غفران بناه نور الدين محمد جهانكير بادشاه . » والسلطان جهانكير هو السلطان الرابع من سلاطين الدولة التيمورية .

في دار إقبال وعلى قبره :

ذهبت أنا والصديق الأستاذ علي أصغر رئيس الوفد الإيراني إلى دار إقبال وهي دار صغيرة قابلنا فيها ابنه جاويد وقد سمى إقبال باسمه منظومته « جاويد نامه » وجاويد معناه خالد . وجاويد نامه كتاب جاويد أو الكتاب الخالد ففيه تورية .

ورأينا حجرة كان الشاعر الخالد رحمه الله يكتب فيها أشعاره

ومقالاته وفيها فاضت روحه . وهي حجرة تسع على صغرها ذكريات لا يسعها الفكر .

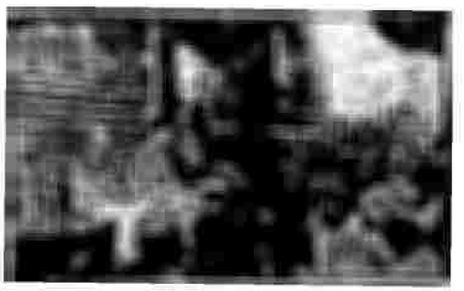

وجلسنا ساعة نتحدث مع جاويد . وقد أهدى إلينا بعض صور والده .

وفي المشي ذهبنا لزيارة قبر إقبال وهو في الحديقة المحيطة بالجامع الكبير الذي بناه السلطان محي الدين الملقب أورنك زيب (زينة العرش) وهو جامع فسيح جداً يشبه جامع دهلي الكبير الذي بناه شاه جهان ، ولكن ليس فيه من الحلي والزينة والنقش والتحلية بالرخام المجزع ما في جامع دهلي . كان شاه جهان كلفاً بتشييد الأبنية وتزيينها وقد بالغ في التشييد والتزيين . وحسبه تاج محل . وكان ابنه أورنك زيب زاهداً لا يبالي بالزينة والأبهة .

وإلى جانب الجامع على مقربة من مدخله حجرة لم يكمل بناؤها فيها قبر الشاعر الفيلسوف محمد إقبال .

زرنا القبر في جلال الموت وروعة الذكرى ثم جلسنا في حفل أعد لاستقبالنا هناك بجانب الحجرة التي فيها الضريح ، وأهديت إلينا منظومات إقبال الفارسية ، وتكلم الأستاذ علي أصغر وغيره وألقيت الكلمة الآتية :

إقبـــال

إقبال يا شاعر الإسلام ! أثرت مقاصده ، وجلوت فضائله وأضأت سراجه ، وأوضحت منهاجه ، ودعوت المسلمين إلى المجد الذي يكافىء دعوتهم ، ويلائم سنتهم ، ويناسب تاريخهم .

إقبال يا شاعر الشرق ، أشدت بمآثره ، ونخرت بروحانيته ، وأخذت على الغرب المادية الصماء ، والغرور والكبرياء . ونقدت قادته فدحضت باطلهم ، وأبطلت سحرهم ، ووقفتهم للحساب العدل وأبنت مالهم وما عليهم ، ولا سيما في كتابك « پيام مشرق »

إقبال يا شاعر الحياة ! كشفت عن قواها . وبصّرت بمجراها ومنتهاها ، وعرفت مقرّاها ، وأقمت منابرها وسواها .

إقبال يا شاعر النفس ! أثرت خفاياها ، وأظهرت خباياها ، وأبنت ما في « خودى »[1] من كهرباء ، فيها القوة والنار والضياء . ودعوت إلى أثارة معادنها ، واستخراج دفائنها وقلت .

بركش اين نغمه كه سرمايه آب وگل تست

أي زخود رفته تعي شوز نراى ديكران[2]

إقبال يا شاعر (بيخودى)[3] أوضحت كيف يكون الإيثار ، وكيف ينظم الفرد في الجماعة .

إقبال يا شاعر الحرية ! أشدت بذكرها ، وأكبرت نعمتها ، ودعوت إليها كاملة ، وأردتها شاملة ، وأبغضت العبودية في شتى مظاهرها ، ومختلف صورها .

إقبال يا شاعر الجهاد والدأب ، والكفاح والنصب ، قلت إن الحياة جهاد مستمر ، وكفاح لا يفتر ، وإن الحياة في الموج الهائل ، والموت في سكون الساحل .

إقبال يا شاعر التجديد والتقدم ، قلت إن الحياة حركة متجددة تكره التكرار ، وإقدام دائم يأبى التقهقر ، ودعوت الإنسان أن يمضي قدما في الحياة مبتكرا مقدما ، له كل حين فكرة . وفي كل ساعة نغمة ، وبينت أن التقدم والابتكار ، هما فرق ما بين العبيد والأحرار .

إقبال يا شاعر الجمال ! صورته في الأرض والسماء ، والبيس والماء ، وفي الصحارى الجرداء ، والحدائق الغناء ، وفي الصبح والمساء ، والضياء والظلماء ، وصورته في كل خلق كريم ، وفي كل نزعة سامية .

---

(١) خودى : فارسية معناها الذاتية . وقد نظم إقبال منظومة طويلة سماها أسرار خودى .

(٢) معناه : أخرج النغمة التي هي سر فطرتك يا من ضل عن نفسه أخل نفسك من نغمات الآخرين .

(٣) لإقبال منظومة اسمها . بيخودى يعني اللاذاتية .

إقبال ياشاعر الجلال ! جلوت عظمته فى الخالق والخليفة وفى الهمم العـــالية ، والعزائم الماضية ، والآمال الكبيرة . والمقاصد البعيدة .

إقبال ! أيها الشاعر الملهم . بانت لك الأسرار ، ورفعت عن الغيب الأستار فرأيت الباطن كالظاهر . وأدركت المستقبل كالحاضر .

إقبال يا شاعر الإسلام ! ويا شاعر الشرق ، ويا شاعر الحياة ، ويا شاعر الإنسانية ، ويا شاعر الحرية والجهاد ، والتجديد والتقدم والأقدام وياشاعر الجمال والجلال .

لقد حييتك على بعد الديار وشط المزار ، وأشدت بذكرك ، وعرفت بفضلك ، وأهديت إليك منظومة اللمعات جوابا لكتابيك وموزخودى وأسرار بيخودى .

وأنا اليوم أحييك على القرب ، وسيان فى عظمتك القريب والبعيد . إن هذا الضياء لا يعترف بالمسافات . ولا تبعد عليه الغايات إن هـذا الفكر الذى يطوى الآفاق ، ويخترق البيع الطباق ، لا تختلف عنده الأرجاء ، فالقريب والنائى لديه سواء . كان من أمانى أن أزورك فى حياتك ؛ ثم تمنيت أن أزور ضريحك بعد مماتك . وهأنذا أشرف بأن ألقى أمامك هذه الكلمات ، وأودع ضريحك هذه الزهرات (١) .

عرب يهدى لروضك زهرا ذافخار بروضه واعتزاز
كلمات تضمنت كل معنى من ديار الإسلام فى إعجاز
بلسان القرآن خطت ففيها نفحات التنزيل والإعجاز
فاقبلنها على ضآلة قـــدرى
فهى فى الحق «أرمغان» الحجاز (٢)

لقد ضمنت آثارك لك الخلود فى هذه الدنيا ، وعند الله جزاؤك فى العقبى جزاء المجاهدين المخلصين .

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين .

عبد الوهاب عزام

(١) هذه الأبيات نظمتها فى دهلى ونقشت على لوح من الرخام وحملتها إلى لاز هور فوضعت على قبر محمد إقبال .

(٢) سمى إقبال آخر منظوماته « أرمغان حجاز » أى هدية الحجاز ، ولم تنشر هذه المنظومة الا بعد وفاته .

جامعة فاروق الأول

كلية العلوم

إعلان

تعلن كلية العلوم بجامعة فاروق الأول عن حاجتها إلى معيدين بقسم الحيوان ويشترط فى راغبى الالتحاق أن يكونوا حاصلين على بكالوريوس علوم بدرجة ممتاز أو جيد جدا على الأقل وبفضل حاملو الدرجة الخاصة — وترسل الطلبات باسم حضرة عميد كلية العلوم بمحرم بك باسكندرية لغاية يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٨

— ٨٦٠٧

٢ - الفتنة الكبرى

للأستاذ محمود محمد شاكر

وإذن ، فقد أراد الدكتور طه أن يقول إن الفتنة الكبرى التي أفضت إلى قتل عثمان إنما كانت « فتنة عربية نشأت من تزاحم الأغنياء على الغنى والسلطان ، ومن حسد العامة العربية لهؤلاء الأغنياء » في ص ١٠٩ فمن أجل تحقيق هذه الكلمة الكبيرة ركب كل مركب في تصوير الحياة الإسلامية الأولى بعد الفتوح بالصورة التي تنتهي به إلى هذا الغرض وحده دون سواه ، وهو الغنى والمال والسلطان ، وتزاحم الأغنياء على الغنى والمال والسلطان ، وحسد العامة العربية لأصحاب الغنى والمال والسلطان . وأنا — كما قلت آنفاً — لن أحاول أن أنقض هذه الصورة ، ولن أعمل عملا في الرد عليها إلا بمقدار ما ينبغي في سياق التحقيق التاريخي لناحية من نواحي هذه الفتنة . ولكن الدكتور كشف عن هدف آخر حين جاء معرض هذه الفتنة ، فنفى خبر عبد الله ابن سبأ اليهودي ، وخبر الكتاب الذي كتب فيه الأمر بقتل رؤوس وفد مصر . وهذا الهدف هو أن ينفي عن اليهود الشركة في دم عثمان ، والتحريض على قتل الإمام ؛ فركب مركباً وعراً خالف فيه أسلوب العلماء في جرح الأخبار ، وكذّب الرواة في شيء بغير برهان ، وصدقهم في شيء آخر بغير برهان أيضاً ، وهو نفسه ينعى في كتابه على « الذين يكذبون الأخبار التي نقلت إلينا ما كان بين الناس من فتنة واختلاف » فقال في ص ١٧٢ : « فنحن إن فعلنا ذلك لم نزد على أن نكذب التاريخ الإسلامي كله منذ بعث النبي ، لأن الذين رووا أخبار هذه الفتن ، هم أنفسهم الذين رووا أخبار الفتح وأخبار المغازي وسيرة النبي والخلفاء . فما ينبغي أن نصدقهم حين يروون ما يروقنا ، وأن نكذبهم حين يروون مالا يعجبنا . وما ينبغي أن نصدق بعض التاريخ ونكذب بعضه الآخر ، لا لشيء إلا لأن بعضه يرضينا وبعضه يؤذينا » . بيد أن الدكتور طه نفسه ، قائل هذا الكلام ، قد فعل ذلك فكذبهم حين روى الرواة مالا يُعجبه ، وحين رووا ما يؤذيه . وفعل ذلك أيضاً فصدقهم حين رووا ما يروقه ، وحين رووا ما يرضيه . فإن الذين رووا أخبار الغنى والمال والسلطان ، هم الذين رووا أخبار عبدالله بن سبأ اليهودي وأخبار الكتاب الآمر بقتل وفد مصر ، فلم أخذ شيئاً بغير برهان ، ونفى أخاه بغير برهان ؟

والشيء البيّن هو أن الدكتور الجليل أراد كما قال في ص ١٣٤ أن يكبر المسلمين في صدر الإسلام « عن أن يعبث بدينهم وسياستهم وعقولهم ودولتهم رجل أقبل من صنعاء وكان أبوه يهودياً ، وكانت أمه سوداء ، وكان هو يهودياً ثم أسلم لا رغباً ولا رهباً ، ولكن مكراً وكيداً وخداعاً » . وهذا قصد حسن ونية جميلة ، ولكن الحق أحسن منهما وأجل . وليس يجمل بنا ولا بالدكتور طه أن نغالط في الحق لشيء يراه هو أو نراه نحن حسناً جميلا . والتاريخ لا يكتب بالتحكم ، وإنما يكتب بالرواية ، ثم بالاستدلال ، ثم ببذل الجهد في سد الفجوات ، وسبيل ذلك أن نأخذ من الماضي أسباباً وعللا وحوادث ذات خطر ، فإن استقامت أن تمتد معك إلى الحاضر الذي تؤرخه ، فهي حقيقة بأن تكون شيئاً من التاريخ يوشك أن يكون حقاً كله أو بعضه .

ولست أحب أن أعلم الدكتور طه ، ولكني سأضع بين يديه حقائق لا يدخلها الريب أبداً ، ثم أسأله أن ينظر فيها ، وأن يحكم هو بيني وبينه . وسأختصر القول اختصاراً ، فإن أكثر مادة هذا الحديث مما لا أظن بالدكتور أن يجهله أو يغفل عنه .

فلنعد إلى حديث قديم كان قبل البعثة بقليل ، وكان شديد الخطر في تاريخ العرب ، وكان يوشك أن ينتهي إلى حديث جليل في تاريخ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد كان يسكن هذه البلدة الكريمة بنو أم واحدة وأب واحد من قبائل الأزد ابن الغوث : أمهما قيلة ، وأبوهما حارثة بن ثعلبة ، وهؤلاء هم لأوس والخزرج ، وكان يعيش بينهم هذا الجيل من اليهود الذي سكن جزيرة العرب ، أو سكن المدينة ، فكان من خبر ذلك شيء لم يكن مثله مثلا بين بني هاشم وبني أمية ، وهو الحرب التطاولة بين هذين الحيين اللذين ولدتهما أم واحدة وأب واحد ، وبكنان معاً بلدة واحدة . وظل هذا القتال بين الحيين متجدد النيران إلى أن كان « يوم بُعاث » وهو كما قال ابن سعد ج ٣ قسم ٢ ص ١٣٥ : « آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج في الحروب

التى كانت بينهم . . . وكانت هذه الوقعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قد تنبأ ودعا إلى الإسلام ، ثم هاجر بعدها بست سنين إلى المدينة » .

ونشأة هذه العداوة العجيبة بين الأخوين : الأوس والخزرج ، واقتتالهما هذا القتال المر العنيف حقباً متطاولة ، ودخول اليهود فى الحلف ، بعضهم مع الأوس وبعضهم مع الخزرج ، لا يصيبهم من أذى القتال بين هذين الحيين الأخوين إلا القليل ، وتداعيهم باسم اليهودية إذا حزب الأمر ، فيكونون يداً واحدة على هذه العرب ، ليس له معنى إلا أن تكون هذه اليهود هى التى أرثت الحرب والعداوة بينهما لتؤثل فى هذه الأرض أموالا وآطاماً وحصوناً تكون لها عدة وقوة ، وتظهرها على أهل البلاد المالكين لها ، وتصرف وجه هؤلاء القوم عن الزراعة والتجارة وتثمير الأموال ، وتبقى يهود هى صاحبة الزراعة والتجارة وتثمير الأموال بالربا وما كل السحت . وهذا عمل يهود فى كل جيل ، وفى كل أمة ، وفى كل زمان إلى يوم الناس هذا .

ثم لا يلبث أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً من الخزرج عند العقبة ، وكانت يهود كما قال ابن اسحاق ، قد غزوهم ببلادهم ، أى غلبوهم عليها واستأثروا بها ، فلما دعاهم رسول الله إلى الإسلام قالوا له : « إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك . فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك ، فلا رجل أعز منك » . فيؤلف الله قلوب الأوس والخزرج ، وهما الأخوان ، على الإسلام فيفشو فيهما فشواً ظاهراً . ولا يلبث رسول الله أن يهاجر إلى المدينة ، فلا يبقى حى من الأوس والخزرج إلا دخله الإسلام وظهر فيه . فيمر شاس بن قيس من يهود بنى قينقاع — وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم — على نفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج ، فيغيظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فيقول : « قد اجتمع ملأ بنى قيلة (يعنى الأوس والخزرج) بهذه البلاد ! لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار » . فيأمر فتى شاباً من يهود أن يجلس إليهم فيذكر « يوم بعاث » وما كان قبله ، وينشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار . ففعل هذا اليهودى ، فإذا الجماعة المؤتلفة على الإسلام تتنازع وتتفاخر ، فيتواثب رجلان من الأوس والخزرج ، فيقول أحدهما لصاحبه : « إن شئتم رددناها الآن جذعة » ، ويغضب الفريقان جميعاً ويقولون : « قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (يعنون مكاناً بعينه) » ويتداعون : « السلاحَ السلاحَ » . ويخرجون إلى موعدهم ، فيبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فيخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى إذا جاءهم قال : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به ، وقطع عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ؟ » فيعرف الأنصار ، أوسهم وخزرجهم ، أنها نزعة من الشيطان وكيد من « عدوهم » ، فيبكون ويتعانقون ، ثم ينصرفون مع رسول الله سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس اليهودى . (عن ابن اسحاق وغيره) .

وأنا ألست أروى لك هذا إلا لتقف على كيد يهود كيف كان ؟ ولتعرف كيف كان ترفقهم إلى إثارة العداوة بين هذين الحيين منذ قديم ؟ ولتنظر لم كانوا يحبون أن تظل هذه العداوة حية متوقدة ليأكلوا من ثمراتها مالا وغلبة وسلطاناً على العرب ؟ ولتقارن هذا كله بما لا يزال يجرى إلى أيامنا هذه على يد هذه الشرذمة الخبيثة من بنى إسرائيل !

ثم ينزل الله جلت أسماؤه فى أمر هذه الفتنة يخاطب المسلمين الذين كان رسول الله بين أظهرهم ، لم يمت بعد : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتابَ يردوكم بعد إيمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وإذن ، فنحن لا نستطيع أن نكبر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج عن أن يطيعوا فريقاً من اليهود حتى كادوا يردونهم بعد إيمانهم كافرين ، ولا أن ننزههم عن ذلك وهم تتلى عليهم آيات الله وفيهم رسوله ! كما فعل الدكتور طه حين أراد أن ينزه أهل الصدر الأول من الإسلام فى سنة ٥٣

من الهجرة بعد أن قبض الله إليه نبيه بأكثر من عشرين سنة ، وبعد أن نشأت ناشئة من الشباب لا يدعي أحد أنهم جميعاً كانوا أحرص على إيمانهم من أصحاب محمد وأنصاره الأولين . وهذا خبر واحد رويته ، فإن شئت أن أروي الأخبار كلها لما وسعني كتاب أشرح فيه أمر هذه الفتن التي أرثتها اليهود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يسعني أن أنص على كل آيات كتاب الله التي نزلت في أخبار هذه الفتن . وحسبي أن أذكر من نسي أن أخبار المنافقين والآيات التي نزلت فيهم ، كانت كلها في المدينة لا في مكة ، وأن ذلك دليل على أن النفاق كان حيث تكون يهود ، وأن « الأعراب » لم يذكروا إلا في السور المدنية مقروناً بالنفاق والمنافقين ، وأن قول الله تعالى في سورة براءة (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً) نزلت في بني أسد وغطفان ، وهم كانوا حلفاء يهود في الجاهلية وفي زمان الإسلام . وهذا شيء أرجو أن يتذكره الدكتور حتى نعود إليه .

ولم يكن كل هذا المكر والكيد والإيقاع عملا جاء عفو الخاطر من يهود ، ولا كان مأتاه من إساءة لحقتهم من حلفائهم الأوس والخزرج من المؤمنين غير المنافقين ، بل هو شر انطوت عليه يهود لا يزايلهم ولو أحسن المسلمون إليهم ، وهو حقد وضغينة وكفر وعدوان على أهل هذا الدين ، وهم كما وصفهم الله أشد الناس عداوة للذين آمنوا بمحمد صلوات الله عليه . ودليل ذلك أن رجالا كثيراً من الأوس والخزرج كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية ، فكانوا يصافونهم المودة بهذه الأسباب ، ويستنصحونهم في أمورهم دون أن يشكوا فيهم أو يتوجسوا منهم خيفة . فأنزل الله في محكم كتابه ينهاهم عن فعل ذلك : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور » . وهؤلاء « الذين قالوا آمنا » هم الذين نزلت فيهم الآية السابقة قبل هذه في سورة آل عمران : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » .

وهذه الآية وسبب نزولها يدل دلالة صريحة على أن أهل الإسلام الأول ، كانوا لا يزالون يعدون الحلف بينهم وبين يهود حلفاً صادقاً لا غش فيه ، وأن يهود كانت تظهر المودة وتخفي أشد العداوة وأشد الغيظ على هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم كانوا يتخافتون بهذه العداوة ، وأنهم كانوا يخدعون هؤلاء المؤمنين بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ، حتى إذا صدهم بعض المؤمنين عادوا فأظهروا الكفر ليفتنوهم ويخدعوهم عن دينهم . فإذا صح هذا ، وهو صحيح ، ورسول الله بين أظهرهم ، فهو أحق بالصحة في سنة ٣٥ من الهجرة ، لا تكبر أهل الصدر الأول من الإسلام عن أن يقعوا في مثله وفي أشد منه .

ويستطيع الدكتور طه ، ويستطيع كل من أطاق القراءة ، أن يقرأ كتب السير والمغازي منذ هاجر رسول الله من مكة إلى المدينة ، إلى يوم دعاه ربه إلى الرفيق الأعلى ، فسيجد أنه لا تكاد تنتهي وقعة بدر الكبرى بالنصر الأعظم لجند الله حتى يسلم رأس النفاق عبد الله بن أبي ابن سلول وجماعته من المنافقين ، وكانوا أعوان يهود ، ومن يومئذ ينفجر النفاق ويستشري خطره ، حتى تنزل فيه الآيات الكثيرة ، وحتى يطلع الله رسوله على خبايا نفوسهم وعلى أعيانهم . ومن يومئذ يجاهر بعض اليهود بنقض العهد الذي كتبه رسول الله بينه وبينهم عند مقدمه المدينة ، فيكون مقتل اليهودي أبي عَنَك ، ثم تكون غزوة يهود بني قينقاع ، ثم استعانة أبي سفيان بن حرب بيهود بني النضير ينقلون إليه أخبار نبي الله . ثم يكون ما كان في يوم أحد من خروج عبد الله ابن أبي ابن سلول النافق مع رسول الله حتى إذا بلغ رسول الله أحُداً انخزل ابن أبي في كتيبة أشياعه وهو يقول : « أيعصيني ويطيع الولدان ؟ » ، ثم يهزم المسلمون ، فإذا عادوا إلى المدينة شمت بهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه المنافقون ، وأظهرت اليهود القول السيء يقولون : ما محمد إلا طاب ملك ! ما أصيب هكذا نبي قط ! أصيب في بدنه ، وأصيب في أصحابه : ثم لا تمضي خمسة أشهر حتى يحاول يهود بني النضير قتل رسول الله غدراً حين جاء منازلهم ، فأمروا أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت

إســـعاف النشاشيبي

للأستاذ أحمد لطفي الســـيد

اختار الله لجواره في الأسبوع الماضي الكاتب الشهير إسعاف النشاشيبي زعيم الأسرة المعروفة في فلسطين منذ القرن التاسع الهجري إلى اليوم .

ارتقى — رحمه الله — إلى أعظم المناصب الحكومية في عهد الحكومتين العثمانية والحاضرة — بجده واجتهاده ، فكان المفتش الأول للغة العربية في فلسطين — نظم المدارس وأصلح التعليم في هذا القطر الشقيق — ونشر علم العربية عالياً تشهد بذلك مؤلفاته ومقالاته الذائعة الصيت في العالم العربي — وقد كان السيد إسعاف بك شديد الحنين لوطن أسرته الأول مصر — فكان يزورها كلما سنحت الفرصة — وهو فوق ذلك يؤلف فيها الكتب — ويحيي علماءها وشعراءها وزعماءها — ويتعرف إلى أحيائها وأمواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا — وحادثة وقوفه بين يدي المغفور له سعد باشا معروفة مشهورة .

ونحن بهذه المناسبة نكشف لقراء الرسالة الغراء عن أصل هذه الأسرة العربية الكريمة حتى تقر عين الصديق الراحل بكلمة وفاء صغيرة من أحد أبنائه المعترفين بفضله ... يتصل أول هذه الأسرة بالشيخ المعتقد أحمد بن رجب النشاشيبي — سمي بذلك لأن أجداده كانوا يحترفون صناعة النشاب — وكان الشيخ أحمد المذكور من رجال السلطان الملك الظاهر جقمق — كان خازندار الخاص في أيام إمارته الأولى في فجر القرن التاسع الهجري — وتوفي الشيخ أحمد المذكور على عهد المؤرخ الشهير ابن تغري بردي صاحب كتاب النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة وقد وصفه بقوله : (الشيخ المعتقد أحمد بن النشاشيبي كان خيراً يحب العلماء الصالحين) وترك ابنه الأمير ناصر الدين محمد وهو غرة هذا البيت ووسطة هذا العقد وطراز هذه الحلية

الذي هو تحته ، فجاءه الوحي بما هموا به . ثم يخرج أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي بعد أشهر إلى « غطفان » ومن حولهم من مشركي العرب ، يغريهم بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم ...

ولا تزال تمضي من حدث إلى حدث ، ومن غدر إلى غدر ، ومن نفاق إلى نفاق ، واليهود رأس ذلك كله ، والعاملون عليه ، والموغلون فيه ، إلى أن تنتهي إلى خبر اليهودية التي وضعت السم في الشاة ودعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأكل من شاتها ثم نبئ أنها مسمومة فلفظها .

فما معنى هذا كله ؟ معناه أن اليهود لم يفتر لهم لسان ولا يد ولا غش ولا غدر ولا خديعة ولا ضغن منذ ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن هذه الشحناء لم تكن عن إساءة لحقتهم من الذين آمنوا بل كانت عصبية يهودية محضاً ، وخليقة مركبة في طباع هذا الجنس من البشر ، وأن النفاق كان طرفاً من دسائسهم ومتنفساً لأضغانهم على أهل هذا الدين ، وأن الله قد وصفهم وصف الحق إذ يقول تبارك اسمه : « لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون . لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون »

وهذه الصفة التي وصفهم الله تعالى بها ، لم تنقطع ولن تنقطع ما بقي على الأرض مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وسترى في الكلمة الآتية كيف استطاع اليهود أن يفسدوا على المسلمين أموراً كثيرة ، وأن يثيروا فتنة كادت تذهب بالإسلام كله لولا أن الله قد وعد عباده أن يظهر هذا الدين كله ولو كره الكافرون .

محمود محمد شاكر

ولد فى مصر سنة ٨٢١ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم فى صغره وجوده على أشهر علماء عصره ثم اتصل كأبيه بخدمة الملك الظاهر جقمق . وفى سنة ٨٧٥ اختاره الملك الأشرف قايتباى لوظيفة ناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) فدام فى هذه الوظيفة ما يقرب من الثمانية عشرة عاماً ، كانت كلها خيراً وبركة على القدس والخليل وأهلهما . وقد فصل العليمى فى كتابه تاريخ القدس وأخليل حكم هـذا الأمير لتلك البلاد فقال كانت أيامه كلها مواسم ... وناهيك بهذه الشهادة من شاهد عيان .

وحتى يكون القارىء على بينة من سر حنين المرحوم إسعاف بك لوطن أسرته الأول مصر نفصل له قليلا من أخبار الأمير ناصر الدين فى القدس وكيف استقرت فيها هذه الأسرة المصرية الكريمة منذ خمسة قرون إلى الآن ... قال العليمى فى حوادث ٨٧٣ هـ كثرت الفتن فى القدس بين نائب السلطنة (حاكم القدس) دمرداش وناظر الحرمين الشريفين (القدس والخليل) يرد بك التاجى واشتد الخلاف بينهما وكثر القيل والقال فأدى الحال إلى انفصال الأخير عن نظر الحرمين الشريفين وعين السلطان قايتباى الأمير ناصر الدين بن النشاشيبى أحد الخازندارية بالخدمة الشريفة (أحد رجال الديوان العالى كما هو متعارف اليوم) للكشف عن أوقاف الحرمين الشريفين بالقدس والخليل وتحرير أمرها وإصلاح ما فسد من نظامها فحضر إلى القدس وأصلح ما فسد من أيام يرد بك التاجى وعمر المسجد الأقصى وصرف المعاليم (المرتبات) واستبشر الناس بالخير وعد ذلك من بركة الأمير ناصر الدين ثم توجه إلى مصر فى آخر سنة ٨٧٤ هـ وفى سنة ٨٧٥ استقر الأمير المذكور فى نظر الحرمين الشريفين ودخل إلى القدس فى يوم مشهود وشرع فى عمارة الأوقاف بهمة وشهامة وحصل للاراضى المقدسة الجمال بوجوده وكان يكثر من مجالسة العلماء والفقهاء ويحسن إليهم بالبشر والقبول . وفى سنة ٨٧٧ هـ شرع فى عمارة الصخرة الشريفة وانتهى العمل فيها فى سنة ٨٧٨ هـ وفى هذه السنة خلع عليه السلطان قايتباى وعلى القاضى شهاب الدين بن عبيسه ووهبهما ألف دينار وحضر الاثنان إلى القدس وعليهما خلعة السلطان فكان يوماً مشهوداً ...

وفى سنة ٨٩٢ هـ اشتد البلاء بالقدس والخليل وساءت سيرة نائب السلطان خضر بك وكان يناصره قاضى المالكية شرف الدين بن يحيى المغربى فكثرت الشكاوى فى حقهما فعزل الأمير ناصر الدين القاضى بناء على أمر جاءه من القاهرة فلما كانت سنة ٨٩٣ هـ توجه خضر بك نائب السلطنة والأمير ناصر الدين ناظر الحرمين الشريفين إلى القاهرة ومثل كلاهما بين يدى السلطان فعزز السلطان خضر بك وأمر بعزله والتمس الأمير ناصر الدين من السلطان أعفاءه من الخدمة فتوقف السلطان ولكن الأمير ناصر الدين ألح فى طلب الاستعفاء فأعفاه السلطان من الخدمة كارها لنزاهته وعفته واستقامته .

قال الشيخ العليمى ودخلت سنة ٨٩٢ والوظيفتان شاغرتان النيابة والنظر قال ثم عين السلطان دقاق فى نظر الحرمين فكان بعكس سلفه ظالما فاجراً .

قال السخاوى فى كتابه الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع كان الأمير ناصر الدين بن النشاشيبى من أهل الخير والصلاح حفظ القرآن الكريم وهو صغير وجوده على ابن كوزلبنا والزين طاهر وأخرين وبعد أن ذكر خدماته فى القدس والخليل قال وصرفه السلطان قايتباى بدقاق . والعليمى يؤكد أن النشاشيبى هو الذى استعفى من تلقاء نفسه وأن السلطان ألح عليه فى البقاء فى نظر الحرمين فرفض ألخ وصاحب الدار أدرى .

ولم ينس الأمير ناصر الدين تلك البلاد التى صرف فيها زهرة العمر فرجع إلى القدس ونائل الدور والقصور والحقول والبساتين وانتهت الأسرة كلها بالانتقال من مصر إليها منذ القرن التاسع إلى الآن ...

* * *

وبعد فهذه لمة صغيرة عن أصل هذه الأسرة الشهير والكاتب النحرير والحجة الثبت واللغوى الضليع عظيم القدس والخليل البلد المعلوم وموطن القبر الموهوم الذى من أجله تقاتل الأخوان كأنهما وحشان قرونا وأجيالا حتى اصطبغت الأراضى المقدسة بالدماء فشربتها شرب الهيم ولم يغن فيها دعاء ابراهيم وهى اليوم كما كانت بالأمس وا أسفا والفرق فى الإسم فقط فتلك حروب صليبية وهذه حروب صهيونية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أحمد لطفى السيد

طرائف من العصر المملوكي :

ابن حجر الأديب

للأستاذ محمود رزق سليم

أعنى بابن حجر هنا ، شهاب الدين أبا الفضل أحمد العسقلانى المصرى . المنسوب إلى عسقلان من بلاد الشام ، والمولود بمصر — الفسطاط — والذى عاش بين سنتى ٧٧٣ هـ ، ٨٥٢ هـ . فإن هناك ابن حجر آخر ، وهو الهيثمى من علماء العصر العثمانى .

أما ابن حجر العسقلانى فهو أشهر من أن يشار إليه ، وأجل من أن تكتب عنه عجالة ، وأحرى أن تؤلف فيه رسالة مسهبة فياضة تنم عن علمه وتحدث عن فضله . فإن آفاق علمه واسعة ، ونتاج فضله رحيبة . وهو فى الجبهة الأولى بين علماء العصر المملوكى . وفى الصف الأول بين نابغيه ، وممن نبه العصر بنباهته ، وسما بسمو مكانته .

أخذ العلم عن أئمة زمانه كالزين العراقى ، والسراج البلقينى ، وابن الملقن والإبناسى ، والعز بن جماعة ، والمجد الفيروزابادى ، والعمارى والبدر البشتكى — وطوف فى آفاق مصر ، وربوع الشام ، وجال فى نواحى حلب ، وحج إلى بلاد الحجاز ، وزار اليمن ، فأفاده التجوال علماً غزيراً وأدباً جماً وخبرة صائبة ومعرفة سديدة .

وفره فى العلم حتى تصدر للافتاء وقعد للتدريس وعكف على التأليف . ووكلت إليه مناصب عدة من مناصب الدولة من بينها قضاء الشافعية ، فنبه فيها شأنه بكفايته ومهابته . فعظم فى عيون أهل جيله وعلى رأسهم السلطان الملك المؤيد شيخ صاحب جامع المؤيد المشهور ، الذى كان ابن حجر فى مقدمة هيئة التدريس فيه .

لم يقتصر بروز ابن حجر على مادة علمية واحدة بل تجاوزها إلى غيرها . فقد أغرم بالحديث النبوى الشريف فتلقاه عن حفاظه . وظل يجمعه ويحفظه حتى غدا أحفظ أهل زمانه . وعنى بالتأليف فيه وفى تاريخ رجاله ، فوضع كتبا عدة منها كتابه المشهور « فتح البارى » الذى شرح فيه صحيح البخارى ، وقدمه بمقدمة جليلة سماها «هدى السارى» . قال بعضهم « لو وقف عليه ابن خلدون القائل بأن شرح البخارى إلى الآن دين على هذه الأمة ، لقرت عينه بالوفاء والاستيفاء » . وقال عنه السخاوى فى الضوء « إن هذا الكتاب لم يسبق نظيره وكان أمراً عجباً » . والحق أنه كان فتحاً مبيناً فى تاريخ شرح الحديث — ولا بن حجر عشرات الرسائل فى الحديث ورجاله ومصطلحه .

ودرس ابن حجر فقه الشافعى حتى نبغ فيه وأصبح رأساً بين فقهائه ، واختير لذلك قاضياً لقضاة الشافعية وظل بين تعيين وعزل قرابة إحدى وعشرين سنة ، بعفة وجدارة .

وأقبل على التاريخ وعلى التأليف فيه حتى كون ببعض مؤلفاته حلقة هامة من حلقات تلك السلسلة الفريدة من كتب التاريخ التى صنفها مؤرخو مصر فى تاريخها وتاريخ رجالها . ومنها « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » .

وتخرج به طائفة من الفضلاء ومنهم تلميذه الأثير شمس الدين السخاوى صاحب « الضوء اللامع » ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصارى . وهكذا جمع ابن حجر الفضل من أقطاره ، والمكارم من آفاقها . وإذا ذهبنا نعد مؤلفاته وأعماله ونوه بخطرها وجلال قدرها ضاق المقام وأعيا الكلام .

وما بنا من رغبة هنا إلا أن نعرض لميزة من مميزاته قد يكون انتابها شىء من الخفاء ، فاحتجب خبرها وتمنع ذكرها ، وتلك هى أدبه .

لقد كان ابن حجر أديباً له نفسية الأديب وحساسيته ، وله عاطفته وشعوره ، وله تأثره وإنتاجه ... ولكنه انساق بدافع من روح عصره إلى طلب الحديث ودراسة الفقه وعلوم الدين ، فبرز فى ذلك كله بروزا تطامن أمامه بروزه فى فنون الأدب .

لقد كان بالعصر توجهم للأدب وانصراف عن الأدباء . ولولا ثقة انبثت فى نفوس الأدباء بأدبهم ، وولوع شاع فيهم بفنهم ، لتجهموا للأدب فى المتجهمين ، ولا نصرفوا عنه مع المنصرفين . وقد كان ابن حجر من هؤلاء الأدباء ... ولكن كانت به إلى جوار ذلك نزعة طاغية إلى المجادة ، ورغبة جامحة إلى معالى الأمور ؛ وشعر حينذاك أن الأدب لا يبل أوام أديب ولا يؤدم لقمته ، فضلا عن أن يسدل عليه أردية المجد ضافية ، ويرخى فوقه أثواب الجاه سابغة ، فإذا ركن إلى الأدب وحده اعتاص عليه السبيل

إلى المجد ، وانسد أمامه الطريق إلى الجاه . لذلك عدل ابن حجر عن الأدب إلى غيره، وطلب المجد من باب غير بابه. فحفظ الحديث ودرس الفقه ...

شعر ابن حجر وهو فى حداثة سنه بميله الفطرى إلى الأدب، فعكف على دراسته ومعالجته ، ونظم الشعر حتى بلغ فى نظمه مبلغاً محموداً . ثم تفتحت فيه زهرات الآمال ، وقوى حب المجد فى نفسه ، ورأى للبارزين من علماء الدين وفقهاء المذاهب فى عصره منازل دونها منازل الأدباء والشعراء ، فأشرأبت عنقه إلى منزلة من منازلهم ، ورجا أن يكون فى آتى أيامه واحداً منهم ، لذلك سلك طريقهم ونهج نهجهم ، وعدل عن الأدب لحفظ الحديث ودرس الفقه ... ورأى أن يستغل فيهما ذكاءه ومواهبه. فكان له ما أراد .

ولكن هل أزال هذا النهج الجديد نزعة الأدب من نفسه ، كلا ! بل ظلت كامنة فيها كمون العطر فى زهرته ، متربصة تربص اللحن فى وتره . فإذا مرت عليها نسمة وانية رفيقة استجابت لها فعطرت الأرجاء بأرجها : أو هزتها يد حانية رفيقة لبقها فأطربت النفوس بنغمها . وهيهات هيهات أن تصدأ نفس الأديب الموهوب .

وبعد ، فأين نجد أدبه ومظاهره ؟ نجد ذلك فى كتابته وخطبه وفى شعره .

وحقاً إذا أنت قرأت فى مؤلفاته رأيت أسلوبه الكتابى علمياً فيه من مصطلحات العلم لفظها وأسلوبها كما أنه يغلب عليه فى كتب التاريخ سرد حديثه وقص تراجمه فى غير تأنق. غير أنك يصادفك كثيراً فى تضاعيف هذه التراجم وغيرها سطور من الأدب الخالص يعود إليه فيها طبع الأديب فيتأنق ، ويتخير اللفظ ويحسن فى الأسلوب وتبدو عليه سيما عصره من مراعاة البديع ، ولكن فى غير إغراق ولا استكراه .

وقد كان ابن حجر خطيباً دينياً يعظ الناس فوق المنابر وغيرها، وولى خطابة جوامع عدة منها الجامع الأزهر وجامع عمرو.

ولعل شعره أوضح مظاهر أدبه . وقد كان يظن أن شعره هذا سيتأثر بالاتجاه العلمى البحت الذى اتجهه ، فيسمج ويتخاذل وينوء بالمصطلحات . ولكن الحق أنه بقى له شىء كثير من رونقه وصفائه ، كما بقى لابن حجر نفسه شىء كثير من طرب الأديب وأنسه وإيناسه وسرحه ودعابته . وقل أن مرت به مناسبة من مناسبات الأدباء لم يدل عندها بدلوه فى الدلاء . فمدح وهنأ وتغزل وشكا ورثى وعاتب وتشوق وحن، ووصف ، ونظم فى المديح النبوى والغزو وحاجى وتفكه وراسل وساجل ومديح القصائد الطوال ، وقطع المقطعات الصغار . وأولع فى رفق وكياسة ولطف وسياسة بما أولع به أدباء عصره ممن شغفوا بتعاليم القاضى الفاضل أو تخرجوا فى مدرسة ابن نباتة ، فورى وضمن واقتبس وطابق وجانس . إلى غير ذلك .

وفضلا عن أن شعر ابن حجر قد انتثر فى بعض مؤلفات ابن حجة الحموى كخزانة الأدب ، وترى منه طرفاً فى حسن المحاضرة للسيوطى، فإن له ديوان شعر مخطوطا ، لما يطبع — كما نعتقد —

قال جميل العظم إن ديوان شعر ابن حجر اسمه « الدرر » . وقيل فى فهرس دار الكتب إن صاحب كشف الظنون قال « إن لابن حجر ديوان شعر كبيراً انتخب منه قطعة ورتبها على سبعة أبواب وسماها « السبعة السيارة النيرات » وهى ديوانه الصغير » ثم قيل فى الفهرس « لعل هذا الأخير هو الذى بأيدينا » . ويؤيد كلام الفهرس خطبة هذا الديوان التى كتبها ابن حجر فى مقدمته فهى ناطقة بأن ما فى هذا الديوان جزء من شعره لا شعره كله .

شعر الديوان إذن ، جملة مختارة من الديوان الكبير . وقد جمع فيه ابن حجر بعض شعره المبكر إلى بعض من شعره المتأخر. ومن محاسنه ذكر تاريخ بعض القصائد بالسنة واليوم ، وذكر أسماء ممن وجهت إليهم من ملوك أو إخوان ، فمنهم الملك الأشرف إسماعيل صاحب اليمن ، وعبد العزيز صاحب تونس ، والعباس ابن محمد الخليفة العباسى بمصر ، مدحه ابن حجر بقصيدة بارعة لما ولى السلطنة المصرية عام ٨١٥ هـ ، قال فى مطلعها :

الملك أصبح ثابت الآساس بالمستعين العادل العباسى
رجعت مكانة آل عم المصطفى لمحلها من بعد طول تناسى

وقد قسم ابن حجر ديوانه المذكور إلى سبعة أبواب . فافتتحه بالنبويات ثم الملوكيات — أى المدائح — ثم الإخوانيات ثم الغزليات ثم الأغراض المختلفة ثم الموشحات ثم المقاطيع .

أما نبوياته فلم يأت فيها بجديد وهى على نمط مما جاء فى بردة البوصيرى من ذكر ما عرف من سيرة النبى عليه السلام كالمولد والمعجزات والإسراء والمعراج إلى غير ذلك . ومنها قوله عن النبى عليه السلام :

هو رحمة للناس مهداة فيا ويح المعاند إنه لا يرحم

نال الأمان المؤمنون به إذا شبت وقوداً بالطغاة جهنم
الله أيده فليس من الهـوى في أمره أو نهيـــه يتكلم
فليحذر المرء المخالف أمره من فتنة أو من عذاب يؤلم

أما مدائحه الأخرى وهي ما سماه «الملوكيات» فأجل أبياتها ما بدا في صدرها من غزل . وكذلك كان دأب ابن حجر في أغلب قصائده حتى النبويات يبدؤها بأبيات غزلية على سنة القدامى . ولكنها رقيقة لطيفة تنم عن عاطفة جميلة وشعور صادق . وبمناسبة الغزل نذكر أن بعض علماء العصر وفقهائه ممن نظموا الشعر ، تغزلوا ووصفوا المؤنث والمذكر ، وصرح بعضهم بأن هذا كان منهم على سبيل تمرين القريحة . وما هو إلا حب التقاليد أو حب الظهور دفعاهم إلى شعر الغزل . وما كانت بهم من حاجة إلى الاعتذار أو التنصل ، فكثير من شعرهم بدا متكلفاً ممجوجا مستخذى العاطفة ضيق الحيلة فضح نفسه بنفسه . ولكنا نشعر أن غزل ابن حجر ينم عن عاطفة جميلة وشعور صادق — كما ذكرنا — ولا نستطيع أن نقدم على هذه الدعوى دليلا غير ما يفيض به غزله دون سائر شعره من رقة ولطف وسلاسة . قال في مطلع مدحة نبوية :

إن كنت تنكر حبا زادني كلفا
حسبي الذي قد جرى من مدمعي وكفى
وإن شكـكت فســـائل عاذلي شجني
هل بت أشكو الهوى والبين والأسفا
أحبابنا وبد الأسقام قد عبثت بالجسم هل لي منكم بالوصال شفا
كدرت عيشاً تقضى في بعادكم وراق مني نسيب فيكم وصفا

ومنها :

وكنت أكتم حبي في الهوى زمنا
حتى تكلم دمـع العين فانكشفا
سألت قلبي عن صـــبري فأخبرني
بأنه حين مرتم عني انصرفا
وقلت للطرف أين النوم بعدهم فقال : نومي وبحر الدمع قد نزفا

وهذه الأبيات ألبق بباب الشكوى منها بباب الغزل ، غير أن الشكوى هنا هي من صميم الغزل بل هي لبه وجوهره . وهي أدل على صدق العاطفة من الوصف الصريح . ومع هذا فاسمع قول ابن حجر من غزلية رقيقة :

طيف لمن يهوى ألما بطوى ذيول الليل لما
أهـــلا به لو أن طر في المنـام يذوق طعما
حقـــام يا ربق الحبيـــب أراك مورودا وأظما
وإلام يا قلب الكئيـــب بأسهم الألحاظ ترمى
هلا صحوت من الغرا م فلم أراجع فيه عزما
وصبرت عمن لا يطا وع ما تشا نهيا وعزما . الخ

وبعد فلعل القارىء ممن يلحظ في هذا الشعر ما لحظناه فيه من رقة ولطف . ويضيق المقام دون الحديث كما ينبغي وكما نشتهي عن شعر ابن حجر . وليس به ما يشوب إلا هنات قليلة شاعت في فرسان عصره كخطأ لغوي أو استعمال عامي .

وإذ آن لنا أن نختم هذه الموجزة ، نذكر أن ابن حجر كان يتخذ حكما في المباريات الأدبية ، مما يدل على علو كعبه في ذوق الأدب وتمييزه . حكوا أن ابن نباتة المصري مدح الكمال ابن الزملكاني القاضي بتائية بارعة صدرها بغزل مليح ، ومنه في مطلعها :

قضى وما قضيت منكم لبانات متيم عيثت فيه الصبابات

فعارضها كثير من الشعراء ، ومنهم برهان الدين القيراطي ، قال في مطلع قصيدته :

ما لابتداء صباباتي نهايات يا غاية ما لعشق فيه غايات

ثم جاء ابن حجة الحموي من بعدهما فعارضهما بقصيدة أخرى قال في مطلعها :

لعجبه ولذيل الهجر ثمرات وللقلوب من الأجفان كسرات

ثم احتكم ابن حجة في التائيات الثلاث إلى ابن حجر ، فحكم له ابن حجر وفضله عليها وسجل ذلك في مكاتبة أدبية طريفة قال في صدرها : « لله الأمر من قبل ومن بعد . الحكم بين النظراء إنما يحسن ممن يعاملهم فيما به يرتفع الحكم . وفي إقدام من لم يرتق إلى تلك الطبقة نوع من الظلم . ولا يرتاب لبيب في أن كلا من الثلاثة رأس هذا الفن في زمانه ، وأنه لا يوازنه أحد من أقرانه .

وثلاثة كثلاثة الراح استوى لك لونها ومذاقها وشميمها » الخ

وبعد فهذه أثارة من أدب ابن حجر نوهنا بها أملا في أن تثير الرغبة في دراسته بتفصيل ورؤية .

(حلوان)

محمود رزق سليم
مدرس الأدب بكلية اللغة العربية

للحقيقة والتاريخ :

حول الفتنة الكبرى

للدكتور شـــوقي ضيف

قرأت بعناية مقال الأستاذ الأديب محمود محمد شاكر بمجلة الرسالة في عددها ٧٦١ عن كتاب « الفتنة الكبرى أو عثمان » لأستاذنا الدكتور طه حسين . وقد رأيت الأستاذ صاحب المقال يقول في أوائل كلامه : رميت بنفسي وعقلي في هذا الكتاب ... فما كدت أفرغ حتى رأيت الكتاب كله يختلج بين يدي » . وذهب الأستاذ يوضح أسباب ذلك فإذا هو يعود بها إلى خبرين أو روايتين نفاهما مؤلف الفتنة الكبرى .

وأقام الأستاذ شاكر الدنيا وأقعدها لأن المؤلف نفى هاتين الروايتين وما كان ينبغي له . وإن كتاباً يخرج عن عثمان وتنفى فيه هاتان الروايتان لخليق بأن يختلج ، على الأقل ، بين يدي الأستاذ شـــاكر !

أما الرواية الأولى ، فهي أن مؤلف الفتنة الكبرى ينفي ما يروى من عمل لابن سبأ في فتنة عثمان . وأما الرواية الثانية ، فهي أن المؤلف ينفي ما يروى من كتاب المصريين الثائرين الذي خرجوا به عن عثمان إلى واليه على مصر ، فلما فضوه في بعض الطريق وجدوه يأمره أن يقتلهم ، فرجعوا إلى عثمان وحاصروه حتى كان مقتله .

وإنكار الرواية الأولى هو الذي أثار ثائرة الأستاذ شاكر ؛ فقد رأى مؤلف الفتنة الكبرى أن هذه الرواية لم تأت في الكتب التاريخية القديمة كلها ، وأن المؤرخين المتأخرين توسعوا فيها ، فشك فيما صارت إليه ، بل شك أيضاً في أصلها ، لأن ابن سبأ أسلم في عصر عثمان ومثله — وهو ليس من السابقين الأولين ولا من قريش ولا من الأنصار — لا يؤثر تأثيراً عميقاً في هذه الفتنة الكبرى التي انتهت بقتل الخليفة . وقد كان الإسلام ، لا يزال في دوره الأول ، وما كان المسلمون الأولون ليثوروا على خليفة وراءه يهودي أسلم حديثاً . وإن وصفهم بذلك ليحط من شأنهم ؛ إذ يكونون أطفالا أغراراً يتبعون هذا الناعق الذي يكيد للاسلام . والحق أن المسلمين ثاروا على عثمان لأسباب داخلية بفصلها مؤلف الفتنة الكبرى .

ومن المسلم به أن من حق المؤرخ أن ينفي بعض الروايات وأن يثبت الأخرى ؛ معتمداً في ذلك على القرائن والأدلة المختلفة وقد رأى صاحب كتاب الفتنة الكبرى قصة ابن سبأ هذه أو ابن السوداء تروى في بعض الكتب التاريخية الموثقة ولا تروى في أخرى ، بل رأى أن الكتب التي كانت أكثر اهتماماً من غيرها بفتنة عثمان لا تروى هذه القصة من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري فازداد شكه في القصة وازداد اتهامه وخاصة أنه رآها تكبر وتتضخم مع مر الزمن فقال : « إن هذه القصة أكبر الرواة المتأخرون من شأنها وأسرفوا فيها حتى جعلها كثير من القدماء والمحدثين مصدراً لما كان من الاختلاف على عثمان » .

وعلق على ذلك الأستاذ شاكر بأن الطبري كان أحد رواة هذه القصة ، وقد ذكر مؤلف الفتنة الكبرى نفسه ذلك . وإذن فكلمة الرواة المتأخرين السابقة فيها إبهام شديد متعمد فيما يظهر . فإن الطبري ليس من الرواة المتأخرين ، وقد روى القصة عن سيف بن عمر بشهادة المؤلف نفسه . وأظن أنه كان ينبغي للأستاذ شاكر أن يلاحظ أن المؤلف لا ينفي عن بعض الرواة السابقين ذكر القصة ، بل هو يثبت ذلك ويثبت بجانبه أن الرواة المتأخرين بالغوا في القصة أو على حد تعبيره أكبروا من شأنها وأسرفوا فيها .

وهذا كلام مستقيم ، فقد أخذت القصة تطول وتتسع في البيئات الشيعية وعند خصومهم كلما تقدم الزمن حتى أصبحت أشبه ما يكون بالأسطورة . وكان هذا سبباً في أن يتهم مؤلف الفتنة الكبرى القصة في بعض الوجوه . وأيضاً فقد لاحظ أن المصادر المهمة التي قصت أمر الخلاف على عثمان لم تذكرها من مثل طبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذري .

وليس معنى ذلك أن المؤلف يقصد بذلك إلى التقليل من شأن الطبري كمصدر مهم في التاريخ الإسلامي وإنما معناه أنه يقارن ويقابل فيجد ابن سعد لا يذكر القصة كما يجد البلاذري ، وهو أهم المصادر — في رأيه — لهذه القصة وأكثرها تفصيلا ، لا يرويها ، إنما يرويها الطبري وحده بين المصادر القديمة ، وهو يرويها عن سيف بن عمر .

وهذه المقارنة بين الطبري وغيره في هذه القصة جعلت مؤلف

الفتنة الكبرى يتهمها ، فقد أثار ذلك الشك فى نفسه ، وأظن من حق كل مؤرخ أن يشك ويتهم بعض الروايات القديمة وخاصة إذا لم تتآزر الكتب التاريخية المختلفة فى رواياتها .

وقد ذهب الأستاذ شاكر يبرهن على صحة القصة بأن طبقات ابن سعد طبعت من نسخ ناقصة وربما كانت القصة موجودة فى الأصل وسقطت . واتسع بهذا البرهان فى أنساب الأشراف للبلاذرى فقال إن ناشره يهودى من طغاة الصهيونية وربما حذف الرواية الخاصة بابن سبأ . ولست أدرى ماذا يضير اليهودى الناشر من رواية هذا الخبر ! . وقد رجع الأستاذ شاكر يقول ربما ذكر البلاذرى هذا الخبر فى ترجمة مفقودة .

وواضح أن هذين البرهانين أو قل هذا البرهان لا يثبت قصة ابن سبأ ، فإن ما جاء به الأستاذ شاكر إنما هو فرض ولا يقين فى يده .

وقد أخذ بعد ذلك يناقش المؤلف فى الخبر أو فى القصة على أساس أن من لم ير خبراً ما ليس حجة على من روى هذا الخبر وخاصة إذا كان الراوى مثل الطبرى علماً وفهماً وهو الذى روى عنه أنه قال لأصحابه « أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة ، فقالوا هذا مما تفنى فيه الأعمار قبل تمامه ، فاختصره لهم فى ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال لهم : هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا ؟ قالوا كم يكون قدره ؟ فذكر نحواً مما ذكره فى التفسير ، فأجابوه بمثل ذلك ، فقال إنا لله ! ماتت الهمم » .

وأحسب الأستاذ شاكراً نقل هذا الخبر عن كتاب معجم الأدباء لياقوت ، ولو أنه استمر بعد هذا النص الذى نقله عن معجم الأدباء يقرأ فى ترجمة الطبرى لرأى ياقوت يقول عنه : « إنه لم يدخل فى كتابه (التفسير) شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبى ولا مقاتل بن سليمان ولا محمد بن عمر الواقدى ، لأنهم عنده أظناء » ثم يقول ياقوت عقب ذلك مباشرة : « وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبى وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدى وغيرهم فيما يفتقر إليه » .

وإذن فالطبرى لم يكن يحقق فى روايات التاريخ كما كان يحقق فى روايات التفسير ، ومع ذلك يقول الأستاذ شاكر : « من قرأ كتاب الطبرى فى تاريخه ... علم أن هذا حق ، وأن الرجل كان فارغاً للعلم لا يلفته عنه شىء » . وأنا لا أنفى أن الطبرى كان فارغاً للعلم ، ولكن أنفى أن تاريخه حق خالص لأنه قد روى عن الكلبى وابنه هشام والواقدى وغيرهم كما يقول ياقوت :

وإذا أضفنا إلى ذلك ما تقوله دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة تاريخ ص ٥٩٣ من المجلد الرابع فى الترجمة العربية من أن « مواطن الضعف عند الطبرى فى تاريخه هى ما يتوقع من محدث مثله — مثال ذلك إيثاره لمصنف سيف المنحول على التاريخ . » ثم عرفنا أن سيفاً هذا هو سيف بن عمر الذى روى عنه الطبرى قصة عبد الله بن سبأ ؛ أفلا يكون هذا كله سبباً فى أن يتهم مؤرخ حديث قصة ابن سبأ ؟

وإن من يرجع إلى ابن عساكر يلاحظ أنه يروى كل ما يتصل بفتنة عثمان عن طرق مختلفة أكثرها طرق محدثين إلا قصة ابن سبأ فإنه يرويها مثل الطبرى عن سيف بن عمر .

على أن ابن سبأ كان له ضربان من النشاط ، نشاط مزعوم فى عصر عثمان ، ونشاط حقيقى فى عصر على . ومع ذلك فالنشاط الأخير قد بولغ فيه على ما هو معروف فى قصته من الحرق والنفى الخ .

وهذا ما جعل مؤلف الفتنة الكبرى يؤخر الحديث المفصل عنه إلى الجزء الثانى من كتابه حتى يلم بهذه الشخصية من جميع أقطارها إلماماً دقيقاً . ألم يقل فى ص ٢٣٢ : « لم نفصل فى هذا الجزء حديث عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، لأنه طويل معقد ، ولأن نشاطه الخطير إنما يظهر فى رأينا أثناء خلافة على فقد أرجأنا حديثه إذن إلى الجزء الثانى من هذا الكتاب » . وقبل ذلك يقول فى ص ١٣٤ : « وأكبر الظن أن عبد الله ابن سبأ هذا — إن كان كل ما يروى عنه صحيحاً — إنما قال ما قال ودعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها ، وأكبر الظن كذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا فى أمر عبد الله بن سبأ هذا ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولاته من ناحية وليشنعوا على على وشيعته من ناحية أخرى ، فيردوا بعض أمور الشيعة إلى يهودى أسلم كيداً للمسلمين . وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة » .

ليست قصة ابن سبأ إذن قصة سهلة يسيرة يمكن أن تقبل لمجرد أن يرويها الطبرى عن سيف بن عمر ، بل هى أعمق من ذلك

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٣ ، ٤ ، ٥)

الحـــرية

للأستاذ كمال دسوقي

٥ — حرية التصرف :

وعلى أساس هذه الحرية العقلية فى التفكير التى قررها «مل» بوضوح وجلاء حتى الآن ، تترتب الحرية العملية فى التصرف ، فللانسان مطلق الحرية فى إبراز آرائه من حيز الفكر إلى حيز العمل ، ومن نطاق العزم إلى نطاق التنفيذ ، ما دام أن عواقب هذه الأمور قاصرة على صاحبها ، وما دام تنفيذها ليس من شأنه أن يضر بالغير ، فحرية الفعل والعمل هى الشق المتمم لحرية الفكر والقول . على أن استخفاف الناس بهذه الحرية الشخصية فى ناحيتيها ، وقلة إيمانهم بها ، وعدم حرصهم عليها ومراعاتهم لها ، وإغفالها كذلك فى برامج الفلاسفة والمصلحين ، هو العقبة دون تحقيقها ، ولو قد حرص أولئك وهؤلاء فيما يرى «مل» — على امتلاك هذه الحرية والإبقاء عليها وحسن استخدامها ؛ لما كان للمجتمع فى أى أمر من أمورهم أدنى تدخل ، ولو كان ذلك بإرادتهم أنفسهم .

وإنما تأتى ضرورة هذه الحرية الشخصية فى الفكر والعمل جميعاً ، من أنها لا بد لازمة لنمو الملكات ، وظهور المواهب ، ولا يتأتى ذلك للأفراد إلا بأن يلموا أولا بتجارب السلف وخبراتهم ، وأن يستفيدوا بها بادىء الأمر ، حتى يتهيأ لهم تأويلها وتحويرها بما يوافق ظروفهم ومواقفهم ، وحتى لا يصدرون فى أفعالهم وآرائهم عن تقليد وجمود وانسياق ، بل باختيار ومفاضلة وسلطان عقلى وشجاعة أدبية ، تتحقق معها نفوسهم بما هى نفوس إنسانية ، وتنتظر ملكات هذه النفوس من ملاحظة وتأمل ، وحكم وتدبر ، وعزم وإرادة . فلم توهب هذه الملكات لنعطلها ونقضى عليها بحجة التسليم للمشيئة — وفى هذا ما يكفى للرد على أنصار المذهب الكلفانى — وان يكون إنكار الذات بالنسبة للشخص أكثر شرفاً وفائدة من تقرير الذات بالنسبة للمجتمع ، فإن فى ارتقاء شخصية الفرد علواً بنفسه ومجموعه وخصباً لحياتهم خصوصاً وأن آفة مجتمعنا الحديث لم تعد طغيان شخصية الأفراد وبطشها وجماحها بقدر ما فى خضوعها للمجتمع واستكانتها لرغباته ، وانقيادها لإرادته فى العادات وأخص الخصائص كالذوق والحب والكره ، مما يترتب عليه تضاؤل شخصية الفرد بجانب شخصية المجموع ، حتى لقد وجب على المجتمع أن يتدخل لتربية الذوق وتهذيب الحس وإذكاء الضمير فى كل فرد . ورعاية لمصالح المجموع ، حتى يوجه عواطف الأفراد وميولهم هذه الوجهة . وفى هذا رد كذلك على الذين يقولون بضرورة حد العواطف والنزعات مع حرية العقل والفكر .

حرية التصرف إذن حق ثابت لجميع أفراد المجتمع خاصهم وعامهم ، لا الحرية المطلقة الكاملة التى لا تعرف حدوداً ، بل بالقدر الذى لا يتعارض مع حرية الغير ، أو يترتب عليه اعتداء القوى على الضعيف ، ولا ضير على الحرية الشخصية من هذا القيد ما دامت تعوض عن تقييد النطاق الأنانى منها بإنماء الشعار الاجتماعى والخلقى : أما إن حرية التصرف لازمة للخاصة أو المباقرة — على قلتهم — فذلك لأن المجتمع فى حاجة أبداً إلى من يفتح عينيه على أخطائه ، ويسن له عاداته وتشريعه وتقاليده فى تطور تاريخه ويبتكر له ما يرقى حياة أهله فى الفكر والعمل ، وينفث فيه روح الحياة والتقدم ، ولا يتأتى ذلك إلا بتنشئة الأفراد جميعاً

وأبعد . وأكبر الظن أن من حق المؤرخ إزاءها أن يقابل بين الروايات بعضها وبعض وألا يكتفى بوجودها فى الطبرى عن سيف بن عمر .

أما الروايات الثانية أو القصة الثانية التى وقف عندها الأستاذ شاكر فقصة كتاب المصريين وما كان من فقههم له فى الطريق واطلاعهم عليه ثم عودتهم إلى المدينة ومحاصرتهم لعثمان ، فإن الأستاذ شاكراً لا يأتى بدليل عليها سوى أنها جاءت عند البلاذرى ! كأن الأصل أن يجىء الخبر أو القصة ثم نصدق بها من غير بحث ولا درس ولا امتحان ولا فحص . ومجىء قصة فى البلاذرى لا يحتم صدقها ومن حق كل مؤرخ أن يختبرها ويمتحنها ويتهمها إن كان هناك ما يدعو إلى تهمة .

وبعد فهذه آراء رأيت أن أعلق بها على مقال الأستاذ محمود محمد شاكر للحقيقة والتاريخ .

سُرقي ضيف

فى جوّ صالح يعين على إظهار مواهبهم ، والاستفادة بهم ، فهذه الأقلية الممتازة هى القادة ، وإلى هـذه الارستقراطية الفكرية يجب أن يوكل زمام الحكم ، فإن حكومة الطبقة المتوسطة هى كذلك متوسطة ، وكل شذوذ فى المجتمع دليل على وعيه وعبقرية أفراده وابتكارهم . فهم سيقودون وطنهم وإن لم يحكموا ، وأما ضرورة الحرية الشخصية للعاديين من الناس فحجتها أن تنوع الأفراد فى المجتمع ، وتنوع ظروف الفرد الواحد منهم ، يستتبع منتهى الحرية فى تنويع أساليب الحيـــاة والتصرف التى يأخذ بها الفرد فى كل ظرف يواجهه ، حتى يتكيف فى بيئته ، ويوائم بين نفسه ومجتمعه ، على نحو يجعله غير عاجز عن النهوض بنفسه .

و « مل » يشير فى غير موضع من هـذا الفصل إلى الدور الخطير الذى يقوم به المجتمع فى محاربة العباقرة وتحييد حكومة الطبقة المتوسطة ، وإلى تعصب الرأى العام فيه على أى مظهر من مظاهر التفوق والامتياز ، وإلى تحكم العادة واعتراضها سبيل كل تجديد وإصلاح ، وإلى أن الخلاف وتنوع المذاهب وعدم المماثلة — أى فى كلمة فون همبولت — الحرية وتنوع المواقف هى ضمان عدم انزلاق الدول الغربية فى مصير الصين ، ويرى ضرورة الإصلاح آنئذ قبل أن يتم وقوع هذا الخطر .

٦ — مدى سلطان المجتمع على الفرد :

ثمت أذن حقوق فردية تهم الفرد بنوع خاص ، وهو أبصر الناس بها لأنه أعلمهم بأناها ووسائلها — وثمت — فى مقابل ذلك حقوق مشتركة تهم المجتمع بوجه خاص ، وله أن يدافع عنها ضد من يمسها أو يعتدى عليها ، بوسائله الخاصة وحقوق كل من الطرفين تعد واجباً على الآخر . فحق المجتمع على الفرد — ما دام يتمتع بالأمن فى كنف رعايته — أن يسلك سبيلا يبعـد به عن الإضرار بمصالح الغير وحقوقه ، وأن يتحمل نصيبه من التبعات التى يفرضها عليه مجرد كونه عضواً فى المجتمع . وحق الفرد على المجتمع أن ينظم له القواعد التى تبصره بما عليـه من واجبات فى معاملته للغير وما له عليه من حقوق ، وأن يدعه فى شـئونه الخاصة به يتصرف تصرفاً خالياً من كل قيد ، وأن يكيف جريمة الفرد قبل إنزال العقوبة ، فإن كان قد انتهك القواعد التى سنت لحماية المجموع ، فترتب على ذلك إضرار بغيره ؛ تدخل المجتمع للضرب على يده حماية لإخوانه ، وأما إن كان تصرفه ناشئاً عن عيوب ذاتية أو اجتماعية فيـه ، يترتب عليها الإخلال بالتزاماته الاجتماعية نحو أسرته أو دائنيه أو واجباته بوجه عام ، فللمجتمع أن يوقع عليه المسئولية الأدبية أو القانونية حسبما يراه لا بسبب هذه العيوب الذاتية أو الاجتماعية فحسب الفرد بلاء وجودها فيه — ولـكن لما ترتب عليها من إخلال — إذ الأمر هنا يخرج عن نطاق الحرية إلى الآداب والمعاملة ، وأما ما عدا هذا من الأضرار العرضية التى لا ضرر فيها — فعلى المجتمع أن يتحملها عن طيب خاطر ، فإن كفة الخير الذى يصيبه من إطلاق الحرية أرجح من كفة هذا الضرر مهما بلغ ، خصوصاً وأن المجتمع يجب أن يعد نفسه المسئول الأول عن عدم توجيه الأفراد وجهة قويمة — مع ما كان له من سلطة . وأن التعرض للحرية كثيراً ما يؤدى إلى عكس المراد منه ، ما دام الجمهور — أكثرية الأفراد — يحكم فى ذلك على الأقلية المخالفـة المستنيرة — بحكم هواه وصالحه — لا بمنطق سليم يرى فى الشىء ضرورة ذاتية تسوغ الأخذ به ، ولا ضرر من القدوة السيئة ، فإنها — وإن كانت تعرض نماذج سيئة من السلوك ، فهى تعرض كذلك عاقبة أصحابها الوخيمة . وعلى الأفراد — على أى حال — أن يتعاونوا ويتناصحوا ويتواصوا فيما بينهم فى أدب ومجاملة بما يحقق خيرهم .

ولتأييـد ما يقول « مل » من أن قوانين المجتمع ليست فى حقيقتها إلا هوى الجمهور . وما يرى معه من خطر مبدأ التعرض لو أخـذنا به ؛ يضرب أمثلة كثيرة من التاريخ الواقع ، منها عبادة الله على غير المذهب الرومانى الكاثوليكى فى نظر الإسبان ، وموقف أهل أوربا الجنوبية من زواج القسس ، ومصادرة البيوريتانيين أيام نفوذهم فى نيوانجلند لكل أنواع الملاهى والتسلية ، والنزعة الديمقراطية التى ترمى إلى أن تجعل للجمهور أن يتدخل فى تحديد طريقة إنفاق دخل الأفراد ، ومطالبة العمال غير المهرة بألا تزيد أقليتهم الماهرة عن بقيتهم فى الأجر ، واختلافهم حول ضرورة التشريع الخاص بالعطلة الأسبوعيـة وتبرير الجمهور فعله هذا بالدين ، وأن من حقه حمل الخارجين على إطاعة الدين ، مما ترتب عليه أبشع صنوف الاضطهاد الدينى ، كما حدث فى مذهب « مورمن » الذى وإن كان قد دعا إلى شىء رجعى مستنكر عندهم هو تعدد الزوجات ؛ فلم يكن ينبغى أن يقابل بمثل هذه الوحشية فليس لجماعة أن تحمل غيرها على الرقى والحضارة عنوة ؛ يقدر

ما تستطيع التبشير ومحاربة العقائد الفاسدة في عقر دارها بوسائل التنوير والإقناع ، ولكنه المجتمع يشرع دائما وفق هواه ، ثم يستبد بحجة الرأى العام .

تطبيقات :

وإذ تقررت لدى « مل » حرية الفرد فى الفكر والعقل ، فى الرأى والتصرف ، وثبت ضرورتهما لصلاح حال المعيشة وشخصية الأفراد ، شرع يطبق هذه المبادىء على كثير من مشكلات عصره وبلاده — مبيناً فى كل منها متى يحل للحكومة أن تتدخل فى حرية الأفراد — منحازاً — كعادته دائماً — إلى جانب الحرية الشخصية وإطلاقها فى أوسع مدى ممكن ، متخذاً لهذا التطبيق مقياساً تتحدد به مسئولية الفرد أمام المجتمع ينحصر فى قاعدتين :

١ — لا يسأل الفرد أمام المجتمع عن شئ من تصرفاته ما دامت لا تمس غير شخصه ، وهنا فلا سبيل للمجتمع إلا أن يظهر بغضه وكراهته ، وأن يقدم نصحه وإرشاده ، وأن يقضى على ما لا يرضى عنه بمجرد مقاطعته ونبذه .

٢ — أما إذا أتى الفرد تصرفات تعترض مصالح الغير . فللمجتمع فى هذه الحالة أن يوقع الجزاء القانونى أو الأدبى الذى يراه كافياً للزجر ودرء الاعتداء .

ولا يعد إضراراً بمصالح الغير التنافس والمسابقة ، لما يترتب عليهما من إخفاق البعض نتيجة لنجاح البعض الآخر — طالما أن وسائل هذه المنافسة شريفة — لا يدخل فيها غش أو خيانة أو إكراه ، وما دامت الظروف مهيأة للجميع على قدم المساواة — ومسألة حرية التجارة — وإن تكن بعيدة عن الحرية الشخصية — ينطبق عليها هذا القول فيجب إطلاق منتهى الحرية للتجار فى الدعاية والعرض والإعلان وتجويد الأصناف وتحديد الأسعار ، حتى لا يتحكم فيهم إلا حرية المشترين وتفضيل صالحهم فيسير العرض والطلب على قاعدة الحرية للمنتج والمستهلك ، حقاً إن من واجبات الحكومة اتخاذ الاحتياط لمنع الجرائم قبل وقوعها والأهبة لا كتشافها بعد وقوعها ، وعلى هذا فليس لها بإزاء منع استخدام المواد السامة فى الجرائم إلا أن تحتاط «بالأدلة السلفية» أى إجراءات التوقيع والشهود وما يساعدها على كشف الجريمة إن وجدت ، وإزاء التصرف الشخصى السيء كالسكر والبطالة إلا المراقبة والمعونة على عدم الإضرار بالغير . أما بإزاء التحريض على إتيان أفعال شخصية يعتبر الجهر بها إخلالا بالآداب كبيع الخمور وفتح بؤر القمار ، فى أماكن عامة . ابتغاء المنفعة الشخصية فيجوز تدخل الحكومة لحمل هؤلاء على التحجب والخفاء ، وحصر هذه فى أقل نطاق ممكن ، بفرض ضرائب باهظة على المسكرات تقلل من طلابها وتحرمها على غير القادرين ، وتحديد عدد الحانات ومراقبة سلوك أصحابها وموعد عملهم والترخيص لهم ، وإزاء العقود والاتفاقات التى يبرمها الأفراد لمصلحتهم فيما بينهم القيام على الوفاء بها فى النواحى المالية خصوصاً ، وفسخها وعدم الاعتراف بها إذا كانت تحمل بيع حرية الفرد — مع مراعاة التزاماته وواجباته قبل هذا الفسخ — كما فى عقود الزواج والطلاق — وفيما عدا هذا فليس ما يمنع عن الفرد خيار التقايل والنكول .

وفى مقابل هذه الأمور التى يجوز للحكومة أن تمنعها . هناك أمور يجب عليها أن تمنحها . ومنها تسوية المرأة بالرجل وحمايتها من استبداده وما يزعم لنفسه من سلطان ، وأن تهيئ لكل وليد من رعاياها حق التربية وقسطاً من التعليم ؛ متحملة هى نفقات الفقراء ، وإعانة الآباء ؛ تاركة للمختصين بالتعليم أن يقوموا عليه حافزة إياهم على منافسة مدارسها الأميرية والقضاء عليها ، وأن تجعل امتحاناتها بعد المرحلة الأولى اختيارية فى حقائق العلم الثانية ، خصوصاً فى العلوم العليا كالفلسفة والعقائد (اللاهوت) ، وأن تمنح من يؤدى هذا الامتحان بنجاح شهادة يزاول بها مهنته دون أن يعترضه أحد . وبالجملة تهيئة الفرص التى قد يفوت الآباء إدراكها حين يسترسلون فى معارضة الحد من النسل مع عجزهم عن إسعاده .

و « مل » يناقش أخيراً مدى حق الحكومة فى تولى شئون الأفراد ، فيرى أنه لا وجه لتدخل الحكومة للعمل لهم — حين يكون لطائفة منهم القدرة على إتقانه أكثر — أو لا يكون ذلك . ولكن من الخير أن يروض الأفراد أنفسهم على القيام به . أو حين يكون فى اتساع اختصاص الحكومة ذهاب بالإتقان والتخصص ، وهو هنا يميل إلى اللامركزية ، وإلى توزيع سلطات الحكومة على المختصين والمهرة ، على أن يظلوا خارج الحكم ، فإن حشدهم للخدمة الأميرية يميت ملكاتهم ، ويجعلهم أكثر استبداداً ، والشعب أكثر عجزاً

الأدب والفن في أسبوع

نشوء القومية عند الأتراك :

كانت المحاضرات الثلاث السابقة التي ألقاها الأستاذ ساطع الحصري بالجمعية الجغرافية الملكية في نشوء فكرة القومية في أوربا ، وقد انتقل إلى الشرق في المحاضرة الرابعة التي ألقاها يوم السبت ، فتحدث عن « نشوء فكرة القومية عند الأتراك — التيارات اللغوية والتاريخية التي رافقتها وساعدتها » فقال إن الدولة العثمانية كانت في أول أمرها تتجه إلى الفكرة الإسلامية العامة وخاصة بعد أن تم لها فتح مصر وانتقلت إليها الخلافة الإسلامية ، وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت الأفكار الوطنية قد امتدت إليها من أوربا ولكنها أخذت صبغة إسلامية ، فكان الأدباء والشعراء يتحدثون عن الوطنية والقومية متجهين نحو التاريخ الإسلامي والعواطف الدينية ، وتطورت الأفكار بعد ذلك حتى أخذت فكرة القومية وضعها الأخير . وبيان ذلك أن هذا التطور قام على نواح ثلاث : اللغة والتاريخ والسياسة ؛ أما من حيث اللغة فقد كان هناك لغتان : لغة الأدب الراقي ، ولغة الأدب الشعبي ، وكانت الأولى خليطاً من التركية والعربية والفارسية في الألفاظ والتراكيب والقواعد وأوزان الشعر ، وكانت لغة شعراء القصور الذين هم عماد الحياة الأدبية الراقية ، أما لغة الشعبيين فكانت تركية بحتة ولها أوزان عامية ليس فيها شيء من العربية . وحدث في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن ظهرت دعوات إلى التجديد في اللغة والأدب ، ونشأت مذاهب في ذلك ، بعضها — وهو المعتدل — يدعو إلى بقاء الألفاظ العربية والفارسية التي سارت على الألسنة مع التزام القواعد التركية ونبذ القواعد العربية والفارسية كالاضافة والنسب وغيرهما ، ودعا بعض المذاهب إلى التخلص من كل ما هو أجنبي في اللغة والأدب ، ونظم الشعراء المجددون على الأوزان العامية . وقد اشتجرت الأقلام في هذا الميدان ، حتى انتهى الأمر أخيراً إلى تغلب اللغة التركية ، فهجرت الأوزان والقواعد العربية والفارسية ، واصطبغت الأخيلة بالألوان الأوربية والآداب الشعبية ؛ أما الألفاظ فقد بقي كثير منها حتى تغيرت حروف الكتابة ، فتغير نطق الكلمات العربية وهيآتها تبعاً لتغير الحروف .

وأما التاريخ فقد كانت الدولة العثمانية تسير فيه على العناية بالتاريخ الإسلامي وعدم الالتفات إلى التاريخ التركي قبل الإسلام ولكن لما اتجهت الانظار نحو القومية التركية تغير الاتجاه في الدراسة التاريخية ، فأخذ تاريخ الترك قبل الإسلام مكانه مع التاريخ الإسلامي ، وتغير نظر الأتراك إلى بعض الشخصيات التركية التي كانت تذكر في التاريخ باللعن والسخط .

وبذلك سارت اللغة والتاريخ فكرة القومية في تركيا ، فأثرا فيها ، وأثرت فيهما . وقد أدى كل ذلك إلى نشوء الشعور الوطني وحدوث التطور السياسي الذي جاء بعد التجديد في اللغة والتاريخ . وبدأ العمل السياسي في أوائل القرن العشرين خارج تركيا . وذلك أن الدعاة إلى الأفكار السياسية هاجروا إلى بعض البلاد كمصر وسويسرا ، ونشروا فيها أفكارهم بوساطة الصحف وإرسال المنشورات السرية إلى البلاد التركية ، وكانت الآراء السياسية مختلفة ، فجماعة يدعون إلى الوحدة الإسلامية ، وآخرون يدعون إلى العثمانية ، وفريق ثالث يعتنق الفكرة التركية البحتة .

ولما أعلن الدستور في تركيا ظهرت الدعوات في داخل البلاد ، وأخذ كل فريق يؤيد رأيه ، وتعاقبت الحوادث ، ففصلت بين هذه الآراء بحكمها .

وختم الأستاذ المحاضرة بأن كل ذلك يدل على أثر اللغة والتاريخ في الفكرة القومية عند الأتراك ، وأن هذا يؤيد ما ذهب

وخضوعاً ، وانسياقاً إلى خدمتهم ؛ فيموت العمل الحر . بل الواجب أن نجعل كل طائفة بحيث تصلح حكومة بذاتها . وأن نعود الأمة الاعتماد على النفس ، ونخلق منها عناصر جديدة أبداً ولا نحتكر المواهب في طبقة منها ؛ بل نعمل دائماً على تنشيط هممهم وحفز عزائمهم وإنماء كفايتهم ؛ فإنما قيمة الدولة بأفرادها

وبعد : أرأيت كاتباً ينتصر للحرية ويدافع عنها بمثل هذه البراعة والقدرة ، والتحمس والإمتاع ؟ ...

كمال رسوقي

إليه فى المحاضرات السابقة من أن القومية كائن حى روحه اللغة ووعيه التاريخ ، وقال إنه سيبين ذلك أيضاً فى نشوء الفكرة القومية فى البلاد العربية ، بالمحاضرتين الآتيتين .

نشيد الجامعة العربية :

فى أوائل العام الماضى أعلنت الجامعة العربية عن مباراة لوضع نشيد للجامعة العربية . ولما دنا الوعد المحدد لقبول الأناشيد نظرت فيما تجمع لديها ، فلم تجد فيه ما يصلح ، فأفسحت الوقت ومدت الأجل ، ثم ألفت لجنة للفحص . وانتهى الأجل الممدود وفحصت اللجنة الأناشيد المقدمة ، فلم تجد بينها ما يصلح اتخاذه نشيداً للجامعة . ومما يذكر أنه لم يتقدم إليها أحد من الشعراء المعروفين ، ورأت اللجنة أن تجيز أحسن ما قدم ، فاختارت نشيدين عهدت بأحدهما إلى المعهد العالى للتمثيل والموسيقى ، وبالثانى إلى الجامعة الشعبية ، على نحو ما ذكرت قبل الآن . وقام المعهدان بالتلحين والإلقاء ، وحضرت اللجنة الثقافية بالجامعة العربية التجربة فى كل من المعهدين ؛ واستقر الرأى بعد كل ذلك على عدم صلاحية أى النشيدين ليكون نشيداً للجامعة العربية . ورئى مع ذلك أن يظل الباب مفتوحاً للراغبين فى نظم الأناشيد ليتسنى اختيار أحدها واعتباره نشيداً رسمياً للجامعة العربية .

قلت فى مناسبة سابقة إن طريقة المسابقات للحصول على إنتاج أدبى لغرض ما — طريقة أصبحت غير مجدية ، لأن المتمرنين بأنفسهم من ذوى الكفايات يأنفون من دخولها بغض النظر عما يبديه الساخطون من عدم الثقة بالمحكمين ، وأثبتت وقت ذاك بأن يطلب ما يراد ممن تعرف مقدرتهم فيه . وكان « البسام » الذى يحلو له أن يعاكسنى فى الاسم غير مكتف بما كتبه فى بعض ما أرى — قد كتب إلىّ يقول : « قد يكون الذى يطلب منه أن يضع نشيداً شاعراً عبقرياً ولكنه لا يحسن الأناشيد أولا يميل بطبعه إلى نظمها فكيف يطلب منه ما لا يحسنه أو لا يوافق طبعه ؟ » وليس عندى دفع لهذا الاعتراض وإن كنت أحتفظ برأيى للتجريب على الأقل ، فهل تأخذ به الجامعة العربية فتعهد إلى من تأنس فيهم القدرة بوضع أناشيد كما صنعت مع من يضع لها معجم البلدان العربية ؟ أو تأخذ برأى « البسام » فتسكت حتى يفتح الله على من يضع لها النشيد المطلوب ؟ وإنى أسبق « البسام » فأقول قبل أن يكتب إلى : هذا نشيد الجهاد لفلسطين ، تقدم به الأستاذ حسن أحمد با كثير ، من غير مسابقة ، فاستحسن ونجح قسم الموسيقى بالجامعة الشعبية فى تلحينه وأدائه . فهل يصنع مثل هذا غيره من المجيدين المتحرجين من التسابق ؟

قواعد مبسطة للإملاء :

وضعت لجنة الإملاء بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، مشروعاً يتضمن قواعد جديدة للإملاء ، وقد مهد له ببيان الحافز على هذا العمل وهو تسهيل الكتابة على المبتدئين ومتعلمى العربية من غير أهلها والقضاء على اختلاف الكتابة بين الأفراد وبين الأمم العربية الشقيقة عن اختلاف العلماء فى قواعد رسم الحروف ، وذكرت أن أساس مشروعها أن تطابق الكتابة النطق .

والقواعد التى تضمنها هذا المشروع هى كما يلى :

١ — كل ما ينطق به يرسم فى الإملاء ، إلا كلمة « الله » .

٢ — كل ما لا ينطق به لا يرسم ، إلا همزة الوصل ، وإلا لام (أل) الشمسية .

٣ — الهمزة فى أول الكلمة ترسم على ألف مطلقاً ، المضمومة والمفتوحة فوقها والمكسورة تحتها .

٤ — الهمزة المتحركة متوسطة ومتطرفة تكتب على حرف مناسب لحركتها ، ويستثنى من ذلك الهمزة إذا كانت متطرفة وقبلها ألف فتكتب مفردة .

٥ — الهمزة الساكنة متوسطة ومتطرفة ترسم على حرف مناسب لحركة ما قبلها .

٦ — الألف اللينة يرى بعض أعضاء اللجنة أن ترسم ألفاً مطلقاً ، ويستثنى بعضهم على وإلى وحتى وبلى ومتى وأنى .

٧ — كل كلمتين اجتمعتا تكتب كل منهما منفصلة عن الأخرى ، إلا إذا كانت الكلمة الأولى (أل) أو كانت كلتا الكلمتين أو إحداهما على حرف واحد ، وإذا حصل بين الكلمتين إدغام كتبتا كلمة واحدة على حسب النطق .

٨ — يرسم التنوين ألفاً فى حالة النصب ، إلا المختوم بالتاء المربوطة .

وقد نظر مؤتمر المجتمع فى هذا المشروع ، فرأى أن يستمر مجلس المجمع فى بحثه ومقارنته بالقواعد الإملائية التى أوصى بها المؤتمر الثقافى العربى الأول ، ثم تعرض النتيجة على مؤتمر المجمع فى السنة الآتية .

وقد قارنت بين هذه القواعد وبين قواعد المؤتمر الثقافي فلم أجد بينهما إلا اختلافاً يسيراً جداً . وقد فرغ المؤتمر الثقافي من تقرير قواعده مع كثير غيرها في بضعة أيام . فما الداعي إلى إرجاء هذا الموضوع ، اليسير في مادته الكبير في أثره ، إلى السنة القادمة ؟ أهي طبيعة الجمع تلازمه في كل أمر وإن هان ؟

سياسة تشجيع التمثيل :

دعت نقابة ممثلي المسرح والسينما لسماع محاضرة الدكتور محمد صلاح الدين بك في : « سياسة تشجيع التمثيل » يوم الإثنين ، وقد بدأ بذكر الأساس التي تقوم عليها رعاية الحكومة لهذا الفن ، فقال : إنها تبدو في نواح أربع ، هي الفرقة المصرية للتمثيل ، والفرق المدرسية ، والمسرح الشعبي . وأسهب في الكلام على الفرقة المصرية ، ومن أهم ما أفاض فيه كيفية اختيار الروايات . فقال : إن هناك لجنة لهذا الاختيار اسمها : لجنة القراءة (والمحاضر عضو فيها) مهمتها بطبيعة الحال اختيار الرواية الصالحة للتمثيل . ولا شك أن الروايات الغربية تتوافر فيها العناصر الفنية ، وهي وإن كان يجب تقديم بعضها ولا سيما العالي منها ، إلا أنه لا بد من رعاية الجانب المحلي في التأليف بتقديم روايات مصرية . ولكن الواقع أن المسرح لا يجد ما يصلح من هذا النوع إلا قليلا ؛ لأن كبار الأدباء عازفون عن التأليف للمسرح ، إما ترفعاً عنه ، أو لعدم الميل إليه ، أو لقلة ما يتوقع من كسبه بالنسبة إلى ما يكسبونه من تأليف الكتب . وقد جربت طريقة المسابقات فلم تؤد إلى نتيجة طيبة ؛ لأن الكبار يأنفون الدخول فيها ، وما قدم لم يلف صالحاً ؛ حتى إنه في إحدى المسابقات رأت اللجنة عدم استحقاق أي رواية مما قدم إليها لأي جائزة ؛ وفي المسابقة الأخيرة أعلنت اللجنة أنها ستمنح الجوائز للأحسن ، ومنحت فعلا الجوائز لخير ما قدم وإن كان لا يصلح للتمثيل . فرأت اللجنة علاجا لهذه الحال أن تطلب زيادة المبلغ المخصص لتشجيع التمثيل ، حتى تستطيع أن تغري كبار المؤلفين بأجور ترضيهم . ولكن وزارة المالية لم توافق على هذه الزيادة . وهنا ذكر المحاضر رأياً للدكتور هيكل باشا أفضى إليه به ، وكان يحدثه في هذا الموضوع ، وهو أن تذكر اللجنة في طلبها أسماء المؤلفين الذين ستطلب منهم تأليف روايات لمواجهة النقص البادي في التأليف المسرحي ، وتحدد العمل والأجر ، فإذا تم ذلك فستوافق المالية .

ومن أهم ما ذكره المحاضر أيضاً : مسألة « الاعتمادات » المخصصة لتشجيع التمثيل ، قال : إن الجهود الفردية في المسرح لا تستطيع أن تستمر وحدها من حيث المال . لأن المسرح ليس له جمهور يكفيه من هذه الناحية فلا بد من إعانة الحكومة وهناك عدة نواح تتطلب هذه الإعانة لتشجيع التأليف وتكبير الفرقة المصرية بضم الكفايات البعيدة عنها إليها ، وإعانة فرق أخرى تنافس الفرقة المصرية منافسة يستفيد منها الفن . ولكن المبلغ المخصص لذلك هو ثلاثة عشر ألف جنيه ، لا يكفي ، وقد فكرنا في تحويل بعض الإعانة التي تبذلها الحكومة للفرق الأجنبية ومقدارها أربعة عشر ألف جنيه إلى التمثيل المحلي ، وذلك بالاكتفاء ببعض هذه الفرق ، مع ما في ذلك من إفساح المجال للفرق المصرية على مسرح الأوبرا . .

وقد عقب الأستاذ يوسف وهبي بك ، بأن المحاضر لم يتناول في محاضرته مسألة إيجاد المسارح اللازمة للعمل ، والواقع أن القاهرة ليس فيها مسرح يصلح للتمثيل غير مسرح الأوبرا الذي تحتله الفرق الأجنبية جزءاً كبيراً من العام . أما مسرح الأزبكية الذي تمثل فيه الفرقة المصرية عندما تضطرها إليه الفرق الأجنبية فهو غير صالح من الوجهة الفنية . وقال يوسف بك إنه يجب أن تحول إعانة الفرق الأجنبية كلها إلى التمثيل المصري ، فليس من الجائز أن يأكل الضيف كل ما في البيت والعيال والزوجة جائعون .

وعلى أثر ذلك صعد الأستاذ محمد الشريف فأعلن أن لجنة الشئون الاجتماعية بمجلس النواب وافقت على إنشاء مسرحين بالقاهرة ، أحدهما صيفي والآخر شتوي .

والملاحظ أن كل هذه الأفكار والاتجاهات الطيبة ليس فيها شيء انتهى الأمر فيه إلى التنفيذ ، فما هي إلا أماني ومقترحات . والملاحظ أيضا أن الدولة لم تقدم بعد على عمل شيء لانقاذ هذا الفن الجميل في مصر . والغريب أنك ترى مما تقدم أن ما تمنح به الفرق الأجنبية أكثر مما يناله التمثيل المحلي ، مع أن الأولى تلاقي رواجاً كبيراً من جانب جمهورها الذي يتألف من الأجانب وبعض الأثرياء ، وهي تقتضيهم أجوراً مرتفعة ، مما لا حاجة معه إلى إعانة الدولة ، وإن لم يكفها جمهورها فلتذهب إلى جهنم .

العباسي

في مولد الرسول:

لمن النور ؟!

للشاعر أحمد هيكل

لمن النور يغمر الأرجاء ويحيل الظلام فيها ضياء ؟
أهو البدر قد تفجر نبعاً من لجين يفيض الصحراء ؟
أهو الفجر قد تقدم جيشاً رفع النور في يديه لواء ؟
أهو الصبح حائكا عبقرياً نسج الضوء للوجود رداء ؟
لا ، فهذا الضياء يُسكب في الأعين هدياً ورحمة وشفاء .
وجدته العيون أعذب رى كورود ترشّفت أندى
إنه نورُ وجهِ خير وليد هبط الأرض باسماً لألاء
ما لنخل الصحراء يرقص كالغيد ويبدي تخلعاً وانثناء ؟
ما لهذي الجبال أضحت قلوباً في ضلوع الصحراء تحيي الرجاء؟
ما لتلك الغدران تضحك والماء سكوب من ثغرها صهباء ؟
ما لهذي القفار صارت رياضاً ثم اضحى هجيرها أفياء
لا ، فإن الربيع يمكث حيناً ثم يمسي هواجراً أو شتاء ؟
والربيع القدسي خلده الله ليمحو عن الوجود الشقاء ؟
ليس هذا الربيع غير وليد جعل الأرض جنة فيحاء
يا يتيما كالدر سُدْت — على اليتم — ملايين أدركوا الآباء
يا وحيداً له نفوس البرايا يتمنّين أن يكنّ إماء
يا عليا وما خطت حروفا أنت أعجزت في الورى العلماء ؟
يا فقيراً وبين جنبيك كنز ترب نعليك يشترى الأغنياء
قم تراهم عموا وصموا قلوباً ودعاء الفقير شق السماء
ولقد كنتَ من قليلك تسخو فإذا جدبها يصير رخاء
كم قسمت الأموال عنك بعضا ثم تعطى جميعها الفقراء
فتآخى الجميع وانبسط العدل ظلالا وريفة سجواء
إن حق الأفراد في أي أرض أن يعيشوا في أرضهم أحياء
يا رسولا دعا القلوب إلى الحب وأنسى الخصام والبغضاء
أنت شيدت بالتآلف للعُرب صروحاً تصافح الجوزاء
في ظلال الإسلام أقدس روح عطّر الكون ألفة وإخاء
ثم دار الزمان وافترق القوم دروبا وفرقوا أهواء
فمشى النسر كالرواحف في الأرض يجرُّ العظام والأشلاء
وغدا الجمع كالقطيع شتيتا راح ناب الذئاب فيهم وجاء
ثم قالوا : مذلة واحتلال وأرادوا تحرراً وجلاء
ومن الحق أن نكون شتيتا ثم نبغي تقدما وارتقاء
ليس ينجي سوى تآلف قوى ليردوا تلك النقائض بناء
ثم نمضي إلى الأعادي جيوشاً نعشق الموت لا نهاب الفناء
فمن الخزي أن نعيش على القيد ونحيا في أرضنا غرباء

أحمد هيكل

دنياي قبر . . .

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

يا حبيبي ما بين كفيك روحي تتلوى وللأماني بكاء
كيف أسلمتها إلى ليل هجر تتعاطى به وأنت الضياء
لم تزل تشتكي الصدى يا رحيقاً تشتهي برده القلوب الظماء
هي ترضى من ناظريك بوعد لا تدعها يقضي عليها الجفاء

يا حبيبي عطّر شبابي ونظّر امنياتي فقد جفاها الدواء
كيف خلفتني بيبداء حبي أتلظى وأنت ظلٌّ وماء
أنت لي واحة من الحب نشوى فوق شطآنها يرف الهناء
ملء أرباضها صفاء وسحرٌ ملء أجوائها الهوى والوفاء
عالم للجمال باركه الحب ووشته كفه السمحاء

يا حبيبي لولاك دنياي قبرٌ ملؤه من هواجس أشلاء
أنا في ظلك الحبيب أغني أغنيات الهوى فتصغي السماء
أنا أهواك يا متيم نفسي أنت بعضي فالبعد عنك فناء

يا فكاك الأسير من قبضة الأشـواق رفقاً فأنت أنت الشفاء
أو تنسى ما قلت بالأمس إني لست أنسى هواك أنت الرجاء
لا تخن ود شاعر بك صب وارع عهداً يصونه الشعراء

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصري

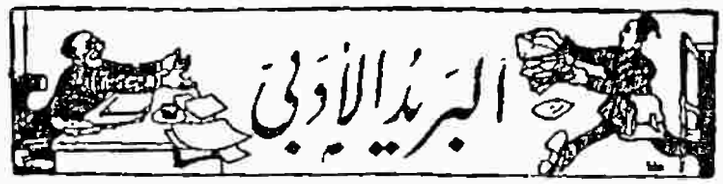

معروف الأرناؤوط في ذمة الخالدين :

استردّت السماء إليها في الأسبوع الحالي إحدى وديعتها العزيزة عند الأرض ، حين وافى الأجل نقيبنا الغالي معروف الأرناؤوط . .

والأرض والسماء تتبادلان ودائعهما في غير انقطاع ؛ ولكن فرحة الإنسانية باستقبال إحدى هذه الودائع قلما تعادل نكبتها بالخروج عنها وتشييعها إلى مستقرها .

وأبناء الحياة يودعون كل يوم أو كل ساعة راحلا منهم إلى العالم الآخر ، ويأسى منهم من يأسى ، حيناً من الدهر ، ثم ترقأ الدموع ، وتندمل الجراح ، ويمر النسيان بكفه على الأثر ، فيمحى كل شيء إلى الأبد .

ولكن الموت يختار منهم بين الفينة والأخرى واحداً بعينه ، فإذا صوتُ النائح يعلو على الأصوات كلها ، وإذا سحابة الحزن تخيم على الرؤوس جميعها ، ثم إذا الجرح أعمق من أن يأسوه الأيام ، والأثر أبلغ من أن يغطي عليه النسيان . .

لقد نعى إلينا الناعي معروفاً في ساعة مبكرة من يوم الجمعة الثلاثين من شهر يناير ١٩٤٨ ، فصعقت الفاجأة أنفسنا ، وبلبلت أفكارنا ، وأثارت لواعجنا ، وأطالت شؤوننا ؛ ولم نكد نثوب إلى أنفسنا حتى عرفنا أية خسارة فادحة خسرتها الأمة العربية بفقده ، وأي رفد عظيم حرمته العربية بحرمانها منه .

وسار الوكب الرهيب بجثمان الفقيد ، بعد ظهر السبت ، ومشى خلفه نائب صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ، وفئة من الوزراء وأصحاب المناصب العليا ، وجمهور غفير من خاصة أهل الفضل والعلماء والأدباء الذين تداعوا إلى العاصمة من لبنان والعراق ، وجيش لجب من رجال العربية والثقافة وعامة الناس . سار الوكب الرهيب حاشداً موقراً ، حتى إذا لمع الراحل مأمنه ، انقلب الناس راجعين ، وفي كل عين دمعة ، وعلى كل شفة خلجة ، وبين كل نفس ونفس معنى يصوغ الأحزان ويهيج الخواطر الباكية ! .

والآن ، لقد تجاوز معروف الأرناؤوط هذا الأفق الأرضي ، وانبتت صلة المادة بينه وبين أبنائه ، وانصرف عن هذا التهافت العاجز ، وابتعد عن هذا الضجيج العابث ، الذي نفرغ جهدنا — نحن — فيه . وعرجت روحه إلى أولئك الخالدين ، وانضم إلى زمرة أرباب الفن ، لينعم بمباهج ذلك العالم الخالد الذي طالما طمح إليه بأفكاره ، وليطمئن إلى محاسن تلك الحياة التي طالما حلق بخياله إليها ، وليغمر قلبه بنور الأبد الذي طالما حلم به وحن إليه . .

وعاد من عرف معروفاً ، فاعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه ، يغالب لوعته ويتطوى على أشجانه .

وإن خلا هو إلى رحمة ربه ، فإن عمل معروف وروح معروف وفن معروف ، هنا فيما ترك بين أيدينا من كتب ومقالات ، وفيما حفظنا له من أحاديث وأقوال !

كان معروف الأرناؤوط طبقة وحده بين الأدباء ، تهيأ له الذوق الفني ، والخيال الخصيب ، والذهن المشرق ، والقلب الزاخر بالحياة والإحساس ، والنظرة النافذة إلى دقائق المعاني ، والقدرة العجيبة على انتقاء الألفاظ وتنسيقها وصوغ العبارات التي تستأثر بالإعجاب . .

كان ، كما لا يمكن أن يكون كل كاتب ، يريق من روحه وعواطفه وعبقريته على ما يكتب ، فإذا هذا الذي كتبه ينضح عطراً ، ويلتمع ألواناً ، ويترقرق عذوبة وألحاناً ...

كان حسبي ، إذا اصطلحت على نفسي الهموم ، وتداعبت على قلبي الأحزان ، وتضافرت على المخاوف ، في ساعة من ساعات القلق والشك ، أن أمد يدي إلى (سيد قريش) ، حتى أجد عنده سكينة نفسي ، وحتى أجد حلاوة هذه الفصول قد اتصلت بقلبي ، وحتى أجد فن معروف يرفعني رويداً رويداً إلى دنيا غريبة فذة من الأماني المحببة والأحلام الجميلة والأحيلة البديعة ... ولم يزل ذلك حسبي !

إيه معروف ! لقد خلفتنا في دنيا غلب عليها الشر ، وعم عليها وعلى أبنائها الشقاء ، والتاثت عليهم سبلُ العيش ، وابتذل

القلوب الكريمة والنفوس الرفيعة ، وعز عليهم أن يجدوا الطمأنينة لأنفسهم المرهفة .. خلقهم وهم أحوج ما يكونون إلى نفحات القلب الكبير الذي يحمله الأدباء الكبار أمثالك ، وإلى نفثات القلم الملهم الذي يتحرك في يد الكتاب أندادك ، يلتمسون عندها العزاء والراحة والسلوة .

رحمك الله ، وأنعم عليك بالجنة والرضوان .

محمد الأسمر ناوروط

الفتنة الكبرى

اطلعت على الكلمة التي نشرت في هذا العدد تعليقاً على مقال لي عن كتاب الدكتور طه حسين عن الفتنة « الكبرى » فلما قرأته آثرت أن لا أضيف على قراء الرسالة صفحات في نقد كلام الدكتور شوقي ضيف ، فعجلت بكتابة هذه الكلمة .

وليأذن لي الدكتور طه حسين أن أوجه الكلام إلى الدكتور شوقي ضيف ، في بعض ما جاء في رده عليَّ .

فأول ذلك أن الدكتور شوقي قد أطال في كلام أكثره موجود في كتاب الدكتور طه ، كأنه أراد أن يشرحه ، وكان وكنا في غنى عن مثل هذا الشرح .

والثانية أنه أطال أيضاً في الأسباب الموجبة لنفي قصة عبدالله ابن سبأ ، ونحن لم نقل أننا نثبتها برواية الطبري وحسب ، بل قلنا إن الدكتور طه زيف القصة بأسباب لا تستقيم ، وهذه الأسباب مذكورة في مقالي ولم يتنبه الدكتور شوقي إلى ضعفها وتهافتها . أما إثباتنا لها فسيأتي فيما بعد بطريق آخر غير الذي ظنه الدكتور ضيف .

والثالثة أنه ذكر عن ياقوت شيئاً في شأن تفسير الطبري وتاريخه ، وهو أن الطبري روى في تاريخه أشياء عن رجال ليسوا عنده بثقات ، وأنه لم يرو عنهم مثل ذلك في تفسيره لمكانهم من التهمة في رأيه . وشرح ذلك أن للطبري رأياً في قوم ليسوا بثقات عنده ، فنزه التفسير عنهم لأنه أمر دين تجب منه الحيطة الشديدة ؛ أما التاريخ فليس لمثل هذه الحيطة فيه مكان . وموازين المحدثين والمفسرين في رد الرجال وتجريحهم ، لا يمكن أن تطبق على أهل التاريخ وسواهم من أدباء ورواة . ولو صح ذلك لأسقطنا رواية التاريخ كله ، ورواية الأدب كله ، ورواية اللغة كلها ، . وأظن أن الدكتور ضيف لم يعط هذا الأمر حقه من النظر والتدبر . واحب فيما أظن أيضاً مكاناً بشرح أصول هذه الفنون لكل امرىء لم يطلع عليها أو لم يعرفها حق المعرفة ، إلا أن يسأل سؤالاً منزهاً عن مواضع اللجاجة في الانتصار لفلان أو فلان .

والرابعة أنه تسرَّع في ذكر أشياء نعفيه من نقدها ، لأنها تطول وشرحها يطول أيضاً . ولكني على ثقة من أن الدكتور طه يعرفها كما أعرفها ، وتبين موضع الغمز فيها

ومهما يكن من شيء ، فإني كتبت ما كتبت عن « الفتنة الكبرى » ولم أتمه بعد ، ولعل الأستاذ لو صبر قليلا لرأى ما يرضيه أو يقنعه . أما العجلة فلا تأتيه بشيء إلا تراكب الخطأ على الخطأ ، ونحن إنما نكتب لنزيل الأخطاء لا لنراكمها بعضها على بعض .

وليعذرني الأستاذ إذا رأى أني لم أبين له البيان الشافي في مسألة الرواية في التاريخ والحديث والتفسير ، وكيف تكون وما شروطها ، وما ينبغي أن ينظر إليه الباحث مرة ، ويتجاوز عنه أخرى في هذه الأشياء ، فإن شاء أن يتحرَّاه على وجهه ، فليسأل الدكتور طه نفسه ، فهو يدله على المصادر التي تعينه على بيانها إن شاء الله ...

محمود محمد شاكر

١ — تصانيف ابن تيمية

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد الأمين في عدد « الرسالة » ٧٦١ فرأيت أن أنقل من كتب الثقات ما يؤيد قول « المفصل في تاريخ الأدب العربي » : وبلغت مصنفاته ثلاثمائة مجلد .

جاء في (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) ج ٦ ص ٨٤ في ترجمة الحافظ تقي الدين بن تيمية : قال الذهبي في عد مصنفاته المجودة : وما أبعد أن مصنفاته إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة .

وقال ابن كثير نقلا عن البرزالي : وله تصانيف كثيرة وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع كتل منها جملة بيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ،

نهـــاية حب

للأستاذ زهدى الشواف

لو قدر لكل إنسان أن يحب كما أحببت ، وأن يعنى بالحبيبة كما عنيت ؛ لفاض ينبوع العواطف فى هذه الدنيا .

لقد قضيت ريق شبابى على مقعد الدرس ، وصرفت زهرة أيامى وأنا أقلب صفحات الكتب . ولقد كنت أحسب أن هذه الأوراق الجامدة ستنال منى ؛ فتخمد نشاط عاطفتى . ولكنى كنت مخطئاً فى ظنى ؛ إذ كنت كلما انصرفت لحظة عن الدرس طالعتنى العيون الناعسة فعدت وكأنى لم أغض لحظة إلى جانب كتاب ، ولم أمض ثانية بعيداً عن تيار العاطفة الجارفة .

وظللت تبيعم العاطفة ؛ فأمضيت حقبة من الزمن سادراً لا أرعوى ، حتى قيض الله لى الصدمة التى أبرأتنى من الداء .

كان ذلك فى صبيحة يوم من أيام الربيع فى حماة ؛ فقد استيقظت باكراً ومضيت للحقول أمتع العين بمفاتن الطبيعة ، ولم يطل بى الطواف كثيراً ؛ فقد كان عقرب الساعة يسرع فى جريه فيدنو من الثامنة . وكانت المدرسة تتمثل لى من ورائه ، وكانت دقات الجرس ترن فى أذنى مؤذنة بحلول الدرس الأول ... يا إلهى كيف أترك هذا الهواء الطلق ، وهذه الجنان الرحبة ... لأنحدر إلى الغرفة الضيقة ... إلى الهواء الحبيس ! . وكيف أضحى بهذه الحرية المطلقة لأستريح إلى نظام أقل ما يقال فيه إنه غول الحرية ! ولم أذهب فى تفكيرى بعيداً فلم يبق للثامنة إلا دقائق عشر لا تكاد تكفى للوصول إلى المدرسة .

وعدت أدراجى آسفاً ، وانحدرت إلى المدينة لا ألوى على شىء . وبينا أنا فى الطريق قرع مسمعى نبرات صوت عذب فرفعت رأسى لأتبين مصدرها ، فإذا أنا أمام جبين وضاح يبهر بنوره شمس تلك الصبيحة الفاتنة .

إنها فتاة فى مقتبل العمر ، وقفت فى نافذة بيتها تتلهى برؤية المارة . لقد انحنت قليلا ممسكة شعرها المتهدل بيمناها وراحت تداعب بيسراها قطتها الجميلة . ولقد لبثت هذه القطة تونو إليها شاخصة ذاهلة ، كأنها قد سحرت بزرقة تلك العيون ، أو أنها فتنت بمنظر ذلك الجبين ... ولم أشعر إلا وقد طرحت كتبى على الأرض ثم جلست فوقها ورحت أرنو إلى النافذة شاخصاً ذاهلا .. لقد أنسانى هذا الجمال كل ما قد شهدت فى الحقول من جمال ، وأبعدت هذه العيون شبح المدرسة عن فكرى . وكأن فعلتى هذه لم ترق للآنسة المحترمة ؛ فإنها لم تكد ترانى أحدق فى وجهها حتى اعتدلت بوقفتها وسوت شعرها بيدها ثم أغلقت النافذة وانصرفت .

أما أنا فقد لبثت فى مكانى أفكر بحظى التاعس ، وأقرن نفسى إلى تلك القطة السعيدة ! إنها أسعد من على الأرض ! ألا يكفيها أنها تستمتع بحريتها وتعيش إلى جانب الآنسة الفاتنة ! .. ألا يكفيها أنها لا تمسك نفسها ساعات طويلة على مقعد الدرس . ألا يكفيها أنها لا تشغل بالها بقوانين الجبر ، ولا ترهق نفسها بحفظ قواعد

وجملة كلها ولم تبيض إلى الآن .

وقال الحافظ ابن حجر فى « الدرر » . إن مصنفاته ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة . وفى « فوات الوفيات » إنها تبلغ ثلاثمائة مجلد .

وقد كثر القول فى هذا الرجل بين نقد وجرح وإطراء ومدح ، وأعدل الأقوال هو ما قاله تلميذه ابن كثير : وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ، وممن يخطىء ويصيب ... قال مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

أما « المنتقى » فهو من تأليف جده ، وذلك مشهور .

٢ — إلى الأستاذ محمود شاكر :

فى عدد الرسالة ٧٦١ (وهذه الخمسة أشياء) فهل هذا تطبيع ، والصواب (وهذه الخمسة الأشياء) والأعلى من هذا والأصح (وهذه خمسة الأشياء) أم تذهبون إلى غير هذا ؟

محمد أسامة عليبة

الصرف والنحو ! سعيدة أنت أيتها القطة .

وبينا أنا سابح فى سماء الخيال ؛ وقعت عينى على الساعة فإذا بها تشير إلى الثامنة والربع ... يا للمصيبة ! ... أين المدرسة ؟ . بأى وجه أقابل الناظر ؟ ... ومضيت أجر ساقى جراً ، وكنت كلما سرت خطوتين تلفت لأرى النافذة ومن وراء النافذة . حتى إذا ما خفى المنزل عنى عدوت نحو المدرسة ودخلتها متأخراً ؛ فاستقبلنى الناظر بطلعته الكالحة . وبعد السؤال والجواب سجل لى ما بناسبنى من جزاء ثم سمح لى بالدخول إلى الصف .

ودخلت الصف فألفيت زملائى الطلاب ساكتين كأن على رؤوسهم الطير . لقد كان الوجوم يخيم فى سماء الغرفة ، وكان الصمت يستأثر بالأنواء ... أين هذا الكلوح من تلك البشاشة ! وأين هذا التزمت من ذلك المرح ؟...

وأخذت مقعدى ورحت أفكر . ولقد كان لى فى صمت الطلاب وهدوئهم ما يحملنى على الانطلاق فى سماء الخيال ... لقد فتحت الكتاب لأتابع الأستاذ فى قراءته ، ولكن العيون الزرقاء كانت تطالعنى من بين الأسطر ... لقد كانت كل كلمة عيناً زرقاء ، وكان كل سطر خصلة شقراء . لقد كنت فى واد والطلاب فى واد . وانتهى الدرس الأول ، وتبعه الثانى ، وانصرم النهار وأنا لا أعلم كيف انصرم ؛ ولكن الذى أذكره هو أنه كان طويلا ، وأنى لم أفد به من العلم لا كثيراً ولا قليلا .

ورجعت البيت فى المساء كاسف البال محطم الأعصاب ، ولم أقدر على المطالعة ، فأغلقت الكتاب واضطجعت فى الفراش ... ولكن أنى للنوم أن يزور الأجفان التى تتطلع من وراء الخيال إلى صورة الحبيب المجهول .

وتوالت الأيام وأنا أزداد بالآنسة شغفاً ، وتتابعت الليالى وأنا أطوف حول بيتها لعلى أظفر منها بنظرة . ولكن هيهات ! فقد كانت لا تكترث بوجودى ، ولا تبالى بمرورى وإنما تعتدل فى وقفتها فتغلق النافذة ثم تنادى قطتها وتنصرف . وكنت إذا لحظت منها الصدود غضبت وأقسمت أن لا أمر من أمام بيتها ، ولكنى ما أسرع ما أحنث بهذا القسم فلا أجدنى إلا سائراً فى طريق بيتها . لقد كانت هذه القصة تتمثل كل يوم ، ولكنها تنتهى وكأنى لم ألحظ صدوداً ولم أحلف يميناً .

وأقبل الصيف وأغلقت المدارس أبوابها فوجدت فى العطلة الصيفية عوناً على تحقيق رغباتى . لقد رحت أقضى الأيام الطوال حول منزل آنستى فأستقصى أخبارها وأتنشق عبير رائحتها ... ولقد لحظت ممرفتى بها الحدود التى كان الربيع قد رسمها فلم أعد أقنع برؤيتها فى النافذة ، وإنما أصبحت أراها فى الطريق رائحة غادية برفقة مربيتها العجوز (نانو) .

وإن أنس لا أنس تلك اللحظات التى كنت أقضيها بانتظار خروجها . لقد كانت اللحظة شهراً ، وكانت الساعة دهراً ، ولكنى ما كنت لأشعر بوطأة هذا الطول . فقد كان لى خلفه آمال تعدل كل ما ألقاه من آلام . لقد كنت أنتظر طويلا ثم لا ألبث أن أسمع صوتاً ملائكياً يرن فى أذنى . إنه صوتها وهى تقول : « نانو ... امشى يا نانو » ثم ينفتح الباب وتخرج منه وهى تخطو خطوة وئيدة وإلى جانبها « نانو » فأقف فى الطريق محاولا استدراجها إلى ابتسامة رقيقة . ولكنى كنت أعود كل مرة خائباً . فقد كانت تمر بى دون أن تشعر بوجودى أو تفطن إلى عواطفى . وإنى لا أزال أعجب لتلك العواطف الجامدة كيف لم تعصف بها نظراتى الحادة ، وإنى لا أزال أكبر ذلك القلب الهادئ الذى لم تستطع أن تحركه نبرات قلبى المتأججة ...

وقد أوشك الصيف أن ينقضى قبل أن أنتهى إلى نتيجة مرضية ، فقد ظل قلب الآنسة بعيداً عن قلبى وبقيت آذانها مغلقة عن سماع صوتى ، وقد تراءى لى أنها تكتم عواطفها خوفاً من « نانو » العجوز ، فاعتقدت أن الحب يقضى على أن أستعطف « نانو » وأن أستدر رحمتها .

ولما كان الغد ملت بنظرى نحو « نانو » فابتسمت لى وابتسمت لها وقلت فى نفسى إنها ولا شك قد أدركت معنى ابتسامتى وفهمت مغزى وقوفى ، وتتابعت النظرات والابتسامات ورأيت « نانو » ذات صباح وحدها فدنوت منها وتكلمت من الشجاعة أكثر مما أطيق ، ثم اعترضتها وقلت لها : « الهوى صعب يا نانو » فهزت برأسها هزة العجب والكبرياء ثم أجابتنى « والصبر طيب ... طيب يا حبيبى ! » ثم مضت لسبيلها وظللت وحدى أفكر فى معنى كلمتها ...

(البقية فى العدد القادم)

زهدى السواف